جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد السادس- العدد الأول
يناير 2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم المعياري الموحد

P-ISSN 1658-872X

E-ISSN 1658-8568

رقم الإيداع

1442/3597

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

مدير التحرير

أ.د. عبدالعزيز محمد رمضان

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد

أ.د. نايف بن علي السنيد الشراري

د. علي عوض آل قطب عسيري

د. نعمة حسن محمد البكر

الهيئة الاستشارية

معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري

جامعة الجوف سابقاً

معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر

جامعة الحدود الشمالية سابقاً

أ.د. عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش

جامعة أم القرى

أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

جامعة الملك سعود

أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب

جامعة الملك سعود

أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي

جامعة بيشة

أ.د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي

جامعة القصيم

أ.د. غيثان بن علي جريس

جامعة الملك خالد

أ. د. محمد بن منصور حاوي

جامعة الملك خالد

المراسلات:

تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: 072289241 , هاتف 072289241, بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة :

/https://iitcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals

وفق الشروط الاتية :-

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و (16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.

- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

تصدير العدد

يطيب لهيئة تحرير "مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية" أن تقدم للقارئ الكريم عددها السابع عشر (العدد الأول من المجلد السادس/ يناير 2025م) الذي يحوي بين جنباته ثلاثة بحوث تتسم بالعمق والجِدّة. ويُجسد هذا العدد عمل هيئة التحرير المستمر والدؤوب لتحقيق الرؤية والرسالة اللتين تطمح إلى تحقيقهما المجلة بهدف الارتقاء بها إلى مصاف المجلات العلمية المتميزة والمعتمدة في أفضل التصنيفات.

والتزامًا من هيئة التحرير للباحث والقارئ الكريم بمبدأ العمل المستمر في إصدار الأعداد؛ فإن العملَ جارٍ على تحكيم بحوث العدد الثاني من المجلد السادس (ابريل 2025م) ومراجعتها تمهيدًا للنشر في الموعد المحدد.

وأخيرًا؛ تسعدُ هيئة تحرير المجلة بتلقي الملحوظات والمقترحات التي سوف تُسهم في تحسين إخراج المجلة ومحتواها، وتصل بها إلى ما ترتجيه من مكانة علمية عالمية مرموقة، وذلك على بريدها الإلكتروني: jhc@kku.edu.sa

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

جدول المحتويات

عنوان البحث	الصفحة
الإسلام والمسلمون في روايات الرحالة الأوربيين في العصور الوسطى (الرحالة بورشارد أنموذجًا) د. سعداء بشير علي العنزي	23-2
التوطين الزراعي في عهد الملك عبدالعزيز (1348–1330هـ/ 1912–1930م) د.ليلى عبدالكريم عبدالله	64-24
الموقف الفلسطيني من أزمة الاحتلال العراقي للكويت 1990–1991م د.علي عبدالرحمن الكندري؛ فاطمة ناصر العسيري.....	98-65

التوطين الزراعي في عهد الملك عبد العزيز

(1330–1348هـ/ 1912–1930م)

د. ليلى عبد الكريم عبد الله•

جامعة الباحة– السعودية

مستخلص:

يهدف البحث إلى إلقاءِ الضوءِ على اهتمامِ الملك عبد العزيز بالتوطين الزراعي، وتغيير نزعة البدوي الفطرية من التنقل والترحال إلى الاستقرار والارتباط بالأرض والزراعة، مع تحقيق تحولات اجتماعية واقتصادية؛ فقد استطاع بنظرته العميقة تحقيق القدرة التطويرية والمحاولة الجذرية لإحداث تحولات في أسس الحياة لجزء كبير من المجتمع، وعدم الصدام بين الهيكل الأساسي والوضع الجديد، وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الزراعة، والوصول إلى الأمن الغذائي؛ لأنه لا يمكن مواجهة مشكلة الأمن الغذائي إلا بتوطين البدو، والاستقرار الزراعي.

وقد تجلَّت الأهداف الإستراتيجية التحويلية؛ كالأهداف الاجتماعية، والاقتصادية، وإدراك الملك عبد العزيز ـ وهو ابن البادية ـ مشكلة البلاد، وتحديد أزمتها وما ابتليت به من عدم الاستقرار؛ في أنه لا علاج لذلك إلا بتحضير أكبر عدد ممكن من البادية عن طريق التوطين الزراعي وربطهم بالأرض؛ للوصول إلى مرحلة الأمن الغذائي. هذا، وقد قادتْني طبيعةُ الدراسةِ إلى تقسيمِ البحثِ على محورين: الأول: التعريف بتوطين البدو، والتحول إلى قوة منتجة اقتصاديًّا، نشطة اجتماعيًّا. المحور الثاني: مشروعات التنمية للتوطين الزراعي وحل مشكلة الأمن الغذائي. وتحقيقًا لأهداف البحث، فقد اعتمدتُ على المنهج التاريخي الوصفي القائم على جمع المادة من مصادرها، ثم تحليلها بهدف الوصول إلى استنتاجات وفق المنهجية العلمية.

الكلمات المفتاحية: التوطين، الغذاء، الهجر، الأمن، الزراعة.

Agricultural Resettlement during the Reign of King Abdulaziz (1930-1912 AD/ 1348-1330AH)

Layla A. Abdullah

Al Baha University- Saudi Arabia

Laazahrany@bu.edu.sa

Abstract:

The research aims to shed light on King Abdulaziz's interest in agricultural settlement and changing the Bedouin's innate tendency from movement and wandering to stability and linking it to the land and agriculture ,while achieving social and economic transformations. With his deep vision, he was able to achieve the developmental capacity and radical attempt to bring about transformations in the foundations of life for a large part of society ,and not clash between the basic structure and the new situation, and achieve self-sufficiency in agriculture and reach food security, because the problem of food security cannot be confronted except by settling the Bedouins and agricultural stability. The strategic transformational goals were manifested as social and economic goals, and King Abdulaziz, the son of the desert, realized that the country's problem and defining its crisis and what it was afflicted with, from instability and that there is no cure for it except by preparing the largest possible number of Bedouins through agricultural settlement and linking them to the land to reach the stage of food security.

The nature of the study led to divide the research into two axes; the first: its content is to define the settlement of the Bedouins and the transformation into an economically productive and socially active force, and the second axis: development projects for agricultural settlement and solving the problem of food security. The research relied on the historical descriptive approach based on collecting material from its sources and then analyzing it to reach conclusions according to the scientific methodology.

Keywords: Settlement, Food, Migration, Security, Agriculture**.**

المقدمة:

لا يقل الاستقلال الغذائي أهمية عن الاستقلال السياسي، فهو يحمي الدولة من التبعية، ويجعلها في مأمن عن الضغوط الخارجية والأزمات الاقتصادية العالمية وارتفاع الأسعار في الأسواق العالمية، وقد ظلَّت قضية تحقيق الأمن الغذائي هاجس الملك عبد العزيز، وذلك لعلاقتها بتأمين الغذاء وامتداد أبعادها إلى الجانب الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والديني. وعلى هذا حرص الملك عبد العزيز على مشاركة القبائل في سكنى الهجر في إطار مجتمع محلي واحد، وهنا يحل الإحساس بالمواطنة محل الإحساس القبلي القديم، على أن يكون مكان الهجر بالقرب من الآبار ومنابع المياه، وتزويد كل هجرة بالتوعية الدينية اللازمة للتبصير بأحكام الشريعة الإسلامية، وهذا يؤكد لنا أن فرض سلطان الدولة، واستقرار النظام العام، وتحقيق الأمن والأمان؛ إنما يجعل من الضروري البحث عن سبيل آخر لتعديل حياة هؤلاء البدو وتطويرها بما يتفق مع بناء دولة حديثة وفق التنظيم السياسي الاجتماعي الجديد. هذا، وقد تصدّى الملك عبد العزيز لمشكلة ندرة المياه كغيرها من المشكلات، حيث كانت هذه المشكلة محورًا ومحركًا للقبائل، وأماكن سكناهم التي اعتمد تحديدها على وجود المياه في مجتمع البداوة، الذي لم يعرف الاستقرار إلا بعد أن عزم الملك عبد العزيز على حلها، وأنه لا يمكن مواجهة مشكلة الأمن الغذائي إلا بتوطين البدو واستقرارهم، وغدا يبحث عن وسائل الأمن والأمان للقبائل بتوجيهها نحو سياسة الاستقرار، لتنظم في سلك الدولة ونظامها وأهدافها؛ لذلك كان قراره أن يتحرر المجتمع من الرعي والارتحال؛ بحثًا عن العشب، والكلأ ليدخل طور الزراعة والارتباط بالأرض، ويصل إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي من الزراعة، بدلًا من أن يكون رزقه متوقفًا على الغزوات.

كذلك عمل الملك عبد العزيز على تجنيب البلاد الصراعات الدائرة في فترة مقدمات الحرب العالمية الأولى 1332هـ/1914م، ومحاولة القبائل الدخول في اشتباكات على الحدود العراقية وإحراج موقف الملك عبد العزيز مع بريطانيا والدولة العثمانية، وتلك هي السياسة الحكيمة، إذ أريد إنجاز عمل داخلي ضخم مثل التوطين الزراعي[1] وهو نوع من أنواع تحقيق التوازن السياسي الداخلي والخارجي؛ حيث تقدم الدولة إصلاحات جذرية وتغييرات شاملة، لذلك كان لا بد من التوطين والاستقرار وتبديل نزعة البدوي الفطرية، وذلك بربط البدوي بالأرض تحقيقًا لتحولات اجتماعية واقتصادية يتطلبها هذا التوطين؛ للانتقال من طور الرعي والارتحال إلى طور الزراعة، وتوفير مورد رزق ثابت عن طريق جهد الأفراد في معالجة التربة وزرعها بدلًا من القتال. بذلك استطاع الملك عبد العزيز تنفيذ عملية تحويل مجتمع الجزيرة العربية من قبائل تتقاتل إلى أفراد يشعرون بالمواطنة والاستقرار، حيث يعيشون طور الزراعة والأسرة، مع روح المعرفة وطلب العلم في ظل قيم جديدة على الرغم من تعدد الضغوط الداخلية والخارجية، وذلك بهدف تحقق تكوين حكم مركزي وطني قوي.

لذا؛ فإن الهدف العام للدِّراسة الحالية هو إلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب السياسة الاجتماعية والاقتصادية التي أرسى دعائمها الملك عبد العزيز، وهو ذلك المتصل بتوطين البدو وتنمية البادية بالتوطين الزراعي، وهو إطار فكر الملك عبد العزيز ورؤيته لمستقبل شعبه وأمته، فذلك الفكر وتلك الرؤية المستقبلية يمثلان المنبع الذي نهلت منه تلك السياسة الاجتماعية الرشيدة التي تميزت بالمرونة واستمرارية الحركة التي تجعلها قادرة على التواؤم مع متغيرات الواقع، وتتابع الأحداث، وتراكم الخبرة العملية، وحساب الخسائر والمكاسب.

كذلك من أهداف هذه الدراسة إبراز أهم الأهداف الإستراتيجية التحويلية التي نهجها الملك عبد العزيز كالأهداف الاجتماعية والاقتصادية، والتي اشتملت على تنمية المجتمع تنمية شاملة بما في ذلك الأبعاد الاقتصادية فلقد وضع الملك عبد العزيز أولى أسس الإصلاح والنهوض الاجتماعي والاقتصادي الشامل في المجتمع السعودي، ووضع أساسًا للحكم مع التركيز على ربط الوحدات المحلية بالحكومة المركزية. فبعد أن كانت القبائل تقوم بكفاية نفسها بمستلزمات الحياة المختلفة ونسج بعض المنسوجات الزراعية والمواشي تغير النمط الاقتصادي لها من الكفاية إلى التسويق، وأصبحوا ينتجون للمجتمع بعد أن كان اعتمادهم على القرى والمدينة. إذ تقام الأسواق أسبوعيًا فازدهرت حركة البيع والشراء وتنامت الحياة التجارية لديهم، هذه الإستراتيجية التحويلية تمثلت في مشروع التوطين الزراعي. بعد إدراك الملك عبد العزيز ـ وهو ابن البادية ـ أن مشكلة البلاد وتحديد أزمتها ما ابتليت به البادية، من عدم الاستقرار، وأنه لا علاج لذلك إلا بتحضير أكبر عدد ممكن من البادية عن طريق التوطين الزراعي، وربط أهلها بالأرض، ليصلوا إلى مرحلة الأمن الغذائي.

هذا، وتتمثل حدود الدراسة الزمانية في الفترة من 1330-1348هـ/1912-1930م. وهي فترة يبرز فيها تاريخ القدرة التحويلية والتطويرية لدى الملك عبد العزيز، مع تنفيذ عملية تحويل مجتمع الجزيرة العربية من قبائل تتقاتل إلى أفراد يشعرون بالمواطنة والاستقرار، ويعيشون على طور الزراعة والأسرة، مع روح المعرفة وطلب العلم في ظل قيم جديدة بالرغم من تعدد الضغوط الداخلية والخارجية التي أدَّت إلى تكوين حكم مركزي وطني قوي. أما الحدود المكانية، فتتمثل في المملكة العربية السعودية، ومناطق مشروع التوطين الزراعي لبعض الهجر التي سيتم عرضها من خلال الدراسة.

أما منهجية الدِّراسة: فقد اشتملت على المنهجين: التاريخي، والوصفي، إذ جاءت الدراسة وصفية؛ لوصف وتحليل عمليات التوطين الزراعي للبدو بكافة أشكال التوطين، وربطها بالزراعة لتحقيق تنمية مستدامة، ولتأمين الغذاء للمواطنين مع تتبع المراحل التاريخية منذ تأسيس الهجر وبداية ربطها بالزراعة، وبالعديد من القرارات الريادية التي كان هدفها خدمة المواطن وتيسير أموره. ويأتي في مقدمتها التوطين. وتفسير النتائج التي جمعتها الباحثة.

ولم تقف الباحثة على دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع وخصصته لمناقشة النقاط التي تنوي هي التعرض لها فحسب، بل إنها وقفت على دراسات أخرى تحمل في ثناياها جوانب شاملة وكبيرة عن موضوع توطين البادية في عهد الملك عبد العزيز، منها:

1- دراسة السياسة الاجتماعية للملك عبد العزيز في توطين البدو. إعداد: عبد الله محمد الخريجي؛ واحتوت على معلومات ذات علاقة مباشرة بموضوع هذه الدراسة، فقد تحدث في ثنايا كتابه عن توطين البدو، وتنمية البادية في إطار الأهداف الكبرى للملك عبد العزيز، وسكان البدو في المجتمع العربي السعودي، ومشروع الملك عبد العزيز للتوطين، وتجربة الهجر بين الإيجابية والسلبية، مع الجهود المركزة للبحث عن المياه والزراعة، ونمو المراكز الحضارية؛ وقد تمت الاستفادة من الجزء المتعلق بتوطين البادية في إطار الأهداف الكبرى للملك عبد العزيز.

2- دراسة الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز، إعداد: موضي بنت منصور بن عبد العزيز؛ واحتوت على معالجة تاريخية عن أهمية تثبيت القبائل، وتوطين البدو والدعوة السلفية للدولة الحديثة؛ وتقديم دراسة ميدانية ووصفية عن الهجر، ودراسة التأثر والتأثير مع القبائل العراقية، والنتائج الكبرى للمشروع؛ وقد أفدت من الدراسة فيما يخص الدراسة الميدانية والوصفية للهجر، التي تتصل بموضوع الدراسة.

المبحث الأول. توطين البدو والتحول الاقتصادي والاجتماعي:

أدرك الملك عبد العزيز -في بداية حياته ومعاصرته لنهاية الدولة السعودية الثانية وبعد سقوطها عام 1309هـ/ 1891م-أهم المشكلات في البادية، وأثر التنقل وعدم الاستقرار بالمكان على حياة أهل البادية، وكان في طليعة أهدافه أن يجمع شمل القبائل تحت سلطة سياسية وعسكرية واحدة لبدء مرحلة الإصلاح الاجتماعي، فرأى بحكمته أن القبائل يطغى عليها طابع عدم الاستقرار في حياتهم سواء في المكان أو التفكير المرهون بالغنائم؛ فقد أشار أمين الريحاني إليهم بقوله: "إنهم سيف في يد الأمير اليوم، وخنجر في ظهره غدًا"[(2)].

فقد هدف الملك عبد العزيز توجيه هذه الطاقات القتالية إلى التنمية والزراعة والاستقرار وتأمين الغذاء للقبائل، فقد كان رؤساء القبائل هم رؤساء القيادة العسكرية للجيش السعودي غير النظامي، فبعد توحيد البلاد ليس هناك حاجة للجيوش غير النظامية أثناء فترة التأسيس، وتأسيس البلاد قد أوجد وضعية جديدة لها ظروفها ومصاحباتها، إذ أصبحت هناك حكومة مركزية واحدة، وأصبحت الدولة لها كيان، وتحقق استقرارها في أداء وظائفها، مع تحقق النظام العام للحماية الداخلية والخارجية بما يتيح الفرصة لأبناء هذا المجتمع في التحول إلى قوة منتجة اقتصاديًا، نشطة اجتماعيًا على كل الأصعدة.

والبدو يمثلون ما يقارب من 60% من سكان المملكة، وكانوا على رأس الفئات التي تستهدفها خطط التنمية ومشروعات التطور؛ لأنهم أكثر قطاعات ذلك المجتمع حاجة إلى كل مقومات تلك الإستراتيجية الجديدة، لهذا يمكن القول: إن سياسة الملك عبد العزيز في تطور هذا المجتمع وتحديثه قد انطلقت من قاعدة سليمة، هي تنمية البادية وتحسين أحوالهم بحكم أنهم غالب شعب المملكة آنذاك[3]. بعد ذلك بدأ بمعالجة بقية مشكلاتهم التنموية والاجتماعية والاقتصادية تدريجيًا. فوضع ـ رحمه الله ـ عندما بدأ بتوحد المملكة العربية السعودية الأمن الغذائي ضمن أولوياته، جنبًا إلى جنب لإقرار التنظيمات الإدارية للدولة الناشئة، من خلال مشاريع لافتة ومنتجه كانت لها أهداف تنموية واجتماعية، وسياسية وأمنية داخلية وخارجية.

ويرى عدد من المختصين أن الغذاء لا يتحقق، إلا إذا كان كل بلد ومنطقة قادرين على إنتاج المواد الغذائية بالقدر الذي يحتاجان إليه، ويكونان في منأى عن الابتزاز الذي قد يتعرض له[4]؛ فالأمن الغذائي يعرف بقدرة البلد على سد حاجات ساكنيه من غذاء كامل، وتأمين الضروريات الغذائية لجميع أفراد المجتمع في أي فترة من الزمن، كذلك سعى الملك عبد العزيز لتحقيق الاكتفاء الذاتي باعتماد الدولة على مواردها وإمكاناتها في إنتاج احتياجاتها من الغذاء محليًا. فمفهوم الأمن الغذائي ذو علاقة وصلة كبيرة بالتنمية الزراعية والتنمية المستدامة، إذ تطور بتطور الحياة الاقتصادية، ثم بدأت تراود الملك فكرة تحقيق أمنية التوطين وربطه بالتنمية الزراعية، حيث إن تنمية القطاع الزراعي يعني تنمية قطاعات أخرى كقطاع التجارة من خلال توليد منتجات قابلة للتبادل بالبيع والشراء، وحل مشكلته كأحد أكبر المشكلات التي تأثرت بها البلاد، فهو يتطلب وجود الأراضي الصالحة للزراعة.

كما تأثر النشاط الاقتصادي الزراعي للبلاد بالتركيبة الاجتماعية للسكان، حيث إنهم من قبائل متعددة يتوزعون على فئتين، هما: فئة الحضر، وفئة البدو[5]، ولم تكن هناك إحصاءات دقيقة لعدد السكان في بداية عهد الملك عبد العزيز، إلا أن فئة البدو تشكل النسبة الأكبر، وتشير التقديرات السكانية إلى أن عدد السكان للمملكة تراوح عام 1352هـ/1932م بين مليون ونصف المليون نسمة إلى مليوني نسمة، وفي عام 1364هـ/1944م يقدر عدد السكان بـ5,2مليون نسمة، منهم 3 مليون نسمة بدو، أي نسبة 57.7%، و2,2 مليون نسمة يسكنون القرى والمدن، ويشكلون نسبة 42,3%[6]. وبهذا فإن البدو يشكلون نسبة كبيرة من السكان، والاتجاه العام يشير إلى أنهم يمثلون ثلاثة أرباع مجموع السكان في زمن التوحيد، وأنه بناء على ما جاء في تقرير الأمم المتحدة فإن جملة سكان المملكة 5,2 مليون نسمة، وتستوعب البادية نحو 60% من جملة السكان[7]، وتشير بعض الدراسات الإحصائية إلى أن نسبة البدو الرحل لا تتجاوز اليوم 10% من سكان المملكة[8].

ويصف المستشرق تويتشل جهود الملك عبد العزيز في مجال الإصلاح الاجتماعي، وتغيير حياة البدو على النحو الآتي: "لقد أظهر الملك ابن سعود كعادته حكمة كبيرة بشروعه وتشجيعه حركة استقرار البدو في أراضٍ مختارة في نجد والإحساء، كما بثَّ الدعاة لتحسين قبول الحياة الزراعية، والاستقرار في قرى حديثة منظمة؛ ذلك أن الحياة في بيوت ثابتة وفلاحة الأرض وزراعتها لا تتماشى على ما اعتاده البدوي، وانطبع عليه ودرج في أحضانه، ومع ذلك فجلالة الملك قد يسر إقامة مستقرة لحوالي ثلث البدو الرحل بتدبيره وتسهيلاته، وكان ممن نجح في مثل هذا الاستقرار بدو منطقة حليت شمال غربي الدوادمي، وفي منطقة فوارة جنوب شرقي حائل، وعقلة الصقور في وادي الرمة إلى شرقي الطريق بين المدينة وحائل. ومع أن كثيرًا من البدو لا يزالون يحتقرون مهنة الزراعة إلا أن المستقبل المرموق لنجاح الزراعة، واستغلال الأرض وتقدم البلاد لا بد أن يكون عن هذا السبيل"[9]. كذلك كان الملك عبد العزيز ينظر إلى مشكلة الأمن الغذائي بأنها مرتبطة بمشكلة البداوة، التي تمثل جزءًا كبيرًا من الوطن العربي، وقد عبر عنها الجميل بقوله: "فإن ترك هذا العدد الكبير من أبناء البلاد العربية على حالتهم البدوية يعني إهمالًا لخير أكيد، وتقصيرًا في حق هؤلاء المواطنين، وإجحافًا بمصلحة الأمة في أقطارها جميعًا. إن توطين البدو سيقضي على الفقر والجهل والمرض الذي يعانونه، وهذه أمور من أهم أسباب تأخر البدو وقلقهم"[10].

لهذا يمكن القول إن سياسة الملك عبد العزيز في تطوير المجتمع وتحديثه، قد انطلقت من قاعدة سليمة، هي تنمية البادية وتحسين أحوال أهلها، بحكم أنهم يشكلون غالبية شعب المملكة آنذاك، وقد آثرت الفئات السكانية حب حياة الاستقرار بعد ثبوت جدوى مشروع التوطين، وهذه الفكرة الجريئة التي اهتدى إليها الملك عبد العزيز– رحمه الله– لم يسبقه إليها أحد، حيث كانت هذه الفكرة من وحي تفكيره وتجاربه الشخصية ونظرته العميقة البعيدة المدى؛ حيث ابتكر التوطين وبدل أساس الحياة في الجزيرة العربية، في حين لم يكن لديه المال الذي يكفي لتنفيذ هذا المشروع الضخم من التحول، فقط استعان بالله لتنفيذها ثم بخبراء من غير أبناء الجزيرة، والأعجب من هذا إصراره على تنفيذ هذا الإنجاز الحضاري الطموح، وهو ما يزال يخوض معارك استرداد أقاليم الدولة الحديثة، وتجنيبها النفوذ الخارجي من الدولة العثمانية وبريطانيا.

وبعض المصادر تعرف ذلك الإنجاز الحضاري نمطًا جديدًا للتجمعات السكانية بالهجر[11]، فمن المؤكد أنه أقام الهجر على قاعدة سليمة، بداية من إرسال الوعاظ إلى القبائل لتعليمها أصول الإسلام[12]، فليس أجدر من حركة التوحيد، باعتمادها على صدق الإيمان لدى أتباعها والولاء والتبعية للحاكم، وأن تخضع لسلطانه، وبسط سلطات الدولة العصرية على كل عناصر الشقاق، فأصبح يعرف ذلك الإنجاز أيضًا بالتوطين في البادية بالموقع نفسه[13]، وبالرغم من الفرق بين المصطلحين إلا أن الدراسات العلمية الحديثة أجمعت على أنه لا ينبغي أن يكون توطين البدو بتهجيرهم، ففرق بين التهجير والتوطين، فالتوطين معناه إقرار الجماعة في وطنها وبيئتها في إطار تقاليدها وعاداتها وظروف البيئة المختلفة؛ أما التهجير فمعناه

تغير جذري في ظروف الجماعة قربًا أو بعدًا عن ظروفهم الأولى، فالتهجير إذن –عكس التوطين– عملية نقل بشرى كامل وانتزاع شخصية المجموعة المهاجرة تمامًا[14].

وهكذا اتضحت الرؤية حول أهمية تثبيت القبائل، والتوطين ونشر التعاليم الدينية السليمة، وبعدها كان الانطلاق لإنشاء مشروع التوطين الزراعي، ومن ثم ظهور اصطلاح التنمية الشاملة، وبدأ الملك بوضع برامج التنمية مع اعتبارها إحداث تغييرات جذرية في البنيات الاقتصادية لمجتمع البدو، إذ إن الاستثمار في الجوانب الاقتصادية متمثلًا في رأس المال لا بد له من الالتئام والاستثمار في الجوانب الاجتماعية متمثلًا في محو الأمية وفرض التعليم، فكان عام 1328هـ/1910م هو بداية التفكير بهذا المشروع الحيوي المهم[15].

وكان التنفيذ هو عام 1330هـ/1912م، وعلى الرغم من أنه قد وضعت حول مسامع الملك عبد العزيز العراقيل للبدء في التوطين، منها: أن أرض الجزيرة العربية مجدبة، وأن تربتها غير صالحة للزراعة، إضافة إلى عدم توفر الأمن في تلك الحقبة؛ لكنه لم يلتفت إلى هذه الأقاويل، بل لفت أنظار المؤرخين والاقتصاديين إلى توطين البادية في هجر وقرى زراعية، فقالوا:" وكان الملك عبد العزيز يرى أن تجميع البدو في وحدات زراعية وسيلة مهمة من وسائل القضاء على النزعة القبلية"[16].

وتأثرت طريقة اختيار الموقع بعدة عوامل، كان من أهمها العامل الجغرافي، من حيث معرفة المياه الجوفية العميقة، والطبقات الواقعة تحت الضغط، حيث تندفع المياه، لوجود المياه الجوفية السطحية، كما في الأحساء، والقصيم، والأفلاج، والخرج، وحرض، وتبوك[17]؛ حيث إن وجود البئر هو العامل الرئيس لقيامها، فهو دليل الثبات للاستقرار الزراعي، واستهدف في البداية اجتذاب عدد صغير من البدو حول نقاط مياه مختارة بعناية، تقع بعيدًا عن طريق القوافل، ورعايتها بالدعم والامتيازات لزيادة الرقعة الزراعية عن طريق أعمال الري والزراعة، كما ارتبط التوطين الزراعي بالتنقيب عن المياه[18]، وكذلك معرفة أنواع المياه إن كانت عذبة أو مالحة، إذ إن معظم الآبار في البادية ليست بعذبة، وقد تجتمع الآبار العذبة والمالحة في مكان واحد[19]؛ لذلك كانت مناطق المنخفضات الرملية الممتدة بين الحافات الجبلية، والأودية مصادر غنية نسبيًا بالمياه الجوفية، وهي مناطق أكثر جذبًا لإقامة الهجر، كما في الخرج[20] التي توفرت فيها المياه الجوفية التي تصبها أودية وادي حنيفة[21]، والعين والعقيمي[22]. كذلك القصيم تتجمع المياه الجوفية المضغوطة في أربعة تكوينات استغلت للمياه في القصيم، وأصبحت تمثل خزانات ضخمة، ويعد وادي الرمة هو أبرز خصائص المنطقة، وهو يقطع المنطقة كلها من الشرق إلى الغرب، ويعد أكبر الأودية في المملكة، بطول يصل إلى حوالي ستمائة كيلو متر، ويزداد عرض مجراه في جزئه الأدنى، وتقع المنطقة كلها عليه أو قريبة منه أو على روافده، وقد أدى ذلك إلى إمكانية إقامة أكثر من 30 هجرة قديمة[23]. نتيجة لذلك أظهر الملك عبد العزيز ثقة كبيرة في حركة التوطين في نقاط مدروسة لديه ومختارة في نجد والقصيم والأحساء،

وهكذا أقيمت كل هجرة على بئر أو نبع ماء، ونلاحظ أن الارتباط كان ضعيفًا نسبيا بين عدد أفراد القبائل وعدد الهجر التي أقيمت في ديارها؛ لقوة المؤثرات الطبيعية في نشأة الهجر ومواقع التوطين، ولم تختص كل قبيلة أو كل فخذ من قبيلة بهجرة واحدة، بل إن غالبية الهجر شاركت أفخاذ من قبائل في سكنى الهجرة، كما حدث في قبيلة مطير عند توطينهم بأول تجربة لكبرى المواقع للتوطين[24].

وربما وقع أيضًا اختيار الهجر بعدها عن طريق القوافل التجارية والمناطق الحدودية، حتى تسلم من فتنة محاولة هؤلاء البدو من نهب أو اعتراض لها، خاصة وأنهم مازالت لديهم الطاقات القتالية، ومازالت البلاد في طور إعادة توحيد بعض المناطق، يقول صلاح الدين المختار: "ومن أهم مشروعات الملك عبد العزيز الإصلاحية مشروع تحضير البادية، وإقطاع البدو الأراضي للسكن والزراعة، وتعليمهم مبادئ الدين ومكارم الأخلاق"[25]. وهذه سياسة الملك عبد العزيز لتطوير المجتمع وتحديثه التي انطلقت من قاعدة ثابتة، وهي تنمية البادية وتحسين أحوال أهلها بإقطاعهم الأراضي للاستقرار والزراعة.

أولاً. البادية وفكرة التوطين:

كان البدو ينظرون إلى فكرة التوطين بأنه حرمان من الحرية والاستقلال بعد أن كانوا مستقلين عن الحكومة، فمن الطبيعي أن تحدث معارضة من القبائل الرحل تجاه ذلك التغيير الذي يرجع إلى عدم قبولهم فكرة العمل بالزراعة، فقد اعتادوا فقط على الرعي، وقد حدثت معارضة على سبيل المثال من قبائل الرولة سكان شمال الجزيرة العربية[26]، الذين كانوا يفضلون العودة إلى ديارهم في شمال الجزيرة العربية على أن يبقوا خاضعين للتوطين[27]، كما أن البدوي لا يرفض التغيير لمجرد الرفض، ولكن في اختياره يقوم على مبدأ الانتقاء، فهو ينتقي من التيارات الثقافية الوافدة على مجتمعه ما يتناسب مع ثقافته التقليدية، وهو يعود بنا إلى النقطة التي سبق ذكرها، وهي أن إحساس البدوي بأن بعض مشاريع التوطين تتخذ من المجتمع غير العربي نموذجًا يحتذى به؛ يجعله يرفضها ولا يتعاون معها لشعوره بأنها دخيلة على ثقافته التقليدية، لذلك كثير منهم قاوم التغيير ورفضه في بدايته[28].

إن التوطين يساعد على تجميع القبائل البدوية في مكان واحد، وبهذا التجمع يزداد الإنتاج القومي؛ لأنه سيوفر كثيرًا من الطاقات البشرية التي ستصبح عنصرًا مهمًا ضمن عناصر الخطة التنموية، وقد بذلت جهود كبيرة من الملك عبد العزيز وأولاده من بعده حتى يبدو الاتجاه العام للنمو الحضري في المملكة مبنيًّا على الجهود التي استهدفت تحسين أحوال أولئك البدو، وادخار لتغيرات جوهرية على ظروف حياتهم؛ وقد أظهر الملك عبد العزيز ثقة كبيرة في حركة التوطين في نقاط مدروسة لديه ومختارة في نجد والقصيم والأحساء؛ فمثلًا وادي الرمة يعد من أهم وأكبر الأودية المنحدرة من جبال السروات والمتجهة نحو الشرق والشمال الشرقي عبر هضبة نجد، وفي العصر المطير كان هذا الوادي كالنهر الجاري، بالإضافة إلى أن الطرق المعروفة مثل وادي حنيفة ووادي الرمة جذبت مواضع الهجر إليها[29]. هذا المشروع الإصلاحي يرمي إلى تأمين

حياة مستقرة للبادية حول مصادر المياه، ومن ثم تعليمهم الزراعة واستثمار الإيجابيات الكامنة داخلهم، ومحاربة كل فكرة من شأنها أن تزعزع بوادر إنشاء مشروعه؛ لأهميته في تنمية موارد الدولة الاقتصادية وإمكاناتها البشرية ضمن إطار التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وهكذا أقيمت كل هجرة على بئر أو نبع ماء؛ ولذلك تمثلت أركان السياسة الاجتماعية في مجال التوطين ورعاية البادية لتوطين الزراعة في الآتي[30]:

1- تطوير الهجر في عهد الملك عبد العزيز.

2- البحث عن المياه.

3- تطوير المدن بالانتقال إلى مزيد من التحضر وزيادة عددها.

4- تحديث كيان المجتمع؛ لتجعله قادرًا على التعامل مع متغيرات العصر وعلى الثبات في وجه المتغيرات العالمية التي تتصارع على حدوده.

وأهم أهداف هذه الأركان هو البحث عن المياه وتطوير الزراعة، فالزراعة وتنميتها هي الأساس المعيشي للبادية، كما حرص الملك عبد العزيز على إقامتهم في مناطق زراعية وتعليمهم الزراعة؛ لأن الطابع المعيشي لهم هو حب الترحال وعدم الاستقرار في منطقة محدودة، وكان يهدف إلى تحويل البادية من حياة التنقل والترحال وشظف العيش إلى حياة الاستقرار والعيش الأفضل، فكان توطين البدو في أرض صالحة للزراعة تتوافر فيها المياه هو الخطوة الأولى في هذا السبيل، وقد حقق هذا المشروع نجاحًا لافتًا للأنظار في عهد الملك عبد العزيز[31]؛ وأدرك أن هذا الصرح الذي بدأ في تشييده لن يكتمل إلا إذا واصل النضال على جبهتي العمل السياسي والتنمية الاجتماعية في آن واحد. هنا اتخذ الملك عبد العزيز قرارًا للبدء في تنفيذ توطين البادية[32].

ويوصف هذا البرنامج بأنه توطين البدو الرحل وتعليمهم الزراعة والعيش في حياة استقرار بدلًا من الترحال عبر إنشاء أماكن أطلق عليها " الهجر" التي بنيت من اللبن والطين ومزجهما مع تبن القمح لمقاومة الرطوبة، وتغطية الجدران بالطين المخلوط بالتبن، كما زودتهم أشجار النخيل والأثل بالأخشاب للسقوف والأبواب والنوافذ، بدلًا من الشعر والوبر[33]. كانت هذه نقطة لتأسيس طراز للتراث العمراني والبناء المعماري الذي تميزت به الهوية المعمارية لمناطق وسط المملكة وشمالها وأصبحت العمارة بنجد ذات طابع خاص للتراث العمراني وتسخير موارد البيئة الصحراوية لبناء البيوت. وهذه تمثل نقطة مهمة في إطار التحول في البناء الاجتماعي للمجتمع البدوي؛ ..الذي تمتزج فيه القبائل، وتتعايش، ويحل فيها الإحساس بالمواطنة محل الإحساس القبلي القديم، ويكون الولاء للقيادة والوطن الكبير لكي يسمو على الولاء القبلي القديم؛ فقد بلغت القبائل التي تم توطينها في عهد الملك عبد العزيز قرابة 12 قبيلة، وكانت كل قبيلة تنقسم 15 فخذًا مكونةً بين 300-500نسمة، وقد بلغ عدد المقاتلين من أبناء البادية في الجيش السعودي في حياة

الملك عبد العزيز76500 فرد، وكان هذا العدد بمثابة النواة الأساسية للجيش المقاتل الذي اعتمد عليه فيما بعد لاستكمال مرحلة تأسيس البلاد[34].

كذلك رأى الملك عبد العزيز أن خير وأفضل أسلوب لإقناع القبائل هو تعليمهم وغرس المبادئ الإسلامية الصحيحة فيهم، وأمام قوة الحجة الدينية، وشخصية الملك عبد العزيز، والدعاة الذين أرسلهم إلى القبائل، بدأت ثمار ذلك المشروع في أم الهجر هجرة الأرطاوية رأس التجربة الكبرى، وهي أول خطوة، مما يستوجب البدء بها، واتخاذها نموذجًا لغيرها من الهجر، وفاتحة برنامج التوطين الزراعي 1330-1348هـ/1912-1930م[35]؛ وهي أول هجرة زراعية في البلاد العربية السعودية لإسكان البدو فيها، وكانت آبارها تمر بها مختلف القبائل لرعي مواشيها، وكذلك القوافل التجارية بين الكويت والمجمعة للتزود بالمياه، وقبل قيامها لم يكن تشاهد في هذه الأماكن إقامة، حيث اجتمعت جماعة من قبائل حرب تلقب بعشيرة (العريمات)[36]، بلغ عددهم ما يقرب من50 فردًا على آبار الأرطاوية، وسكنها سعد بن مثيب من حرب[37] ، وكان السكان المجاورون له يحاولون الاحتفاظ ببعض مياهه بإقامة السدود[38]، ثم أعطيت لفيصل الدويش شيخ مطير[39]، وقبيلته ومعها قبائل متعددة قحطانية وعدنانية تحالفت في عصبة واحدة من الصمان غرب الأحساء إلى سهول الدبدبة[40]، باتجاه القصيم فشرق المدينة وحولها.

هذا النجاح جعل الملك عبد العزيز يلقي بثقله وراء هذا الإنجاز الهائل[41]، وبدأ في تدريب البدو على الأعمال الزراعية من بعض الفلاحين فزرع فيها القمح[42]، وتحولت من هجرة إلى قرية، ثم بلدة، ولم تعد بعد انضمام قبيلة مطير تستوعب أعدادًا كبيرة، ومما يزيد في أهمية وادي أرطاوية أنه يعبر الطريق الرئيسي إلى الكويت على بعد حوالي50 ميلًا من الزلفي، وهي في أطراف القصيم على الطريق من الكويت إلى بريدة، وفي وسط الطريق بين نجد والأحساء، وأخذت تنمو وتزدهر، لخصوبة أرضها وانقلب المكان الموحش إلى بقعة مزدهرة، وأخذ الملك يزورهم ويتردد عليهم ويعطيهم مالًا ولكن بتدبير حتى لا تنضم القبائل إليها لمجرد الربح المادي، وقسمت الأرض بينهم، وغادر المعمرون بيوتهم من شعر الماعز إلى بيوت من اللبن والطين، وانتقلوا من عصر إلى عصر، وكانوا يجتمعون حول الملك عند زيارته ثم يؤدي الصلاة جماعة معهم[43].

أدى ذلك التحول الكبير إلى انضمام كثيف من قبيلة مطير، ولما كانت الهجرة لا تستوعب هذه الأعداد، اضطر السكان لتكوين مراكز أخرى على الطراز ذاته، مما دفع البعض إلى البحث عن مناطق التوطين الزراعي في هجر أخرى في الدلم، وشقراء، وساجر[44]. كما شجع الملك عددًا من الفلاحين من سكان مناطق البلاد العربية على المجئ وتدريب القبائل على الأعمال الزراعية[45]؛ ولما رأى نجاح مشروع هجرة الأرطاوية، أنشأ هجرة الغطغط[46] بنفس النهج للتوطين الزراعي للأرطاوية، ثم توالى إنشاء الهجر بعد ذلك، وتعد هاتان الهجرتان أكبر الهجر التي أنشئت.

أيضًا، اتجهت سياسة الملك عبد العزيز بفكره الثاقب وبعد النجاح السياسي والإداري الذي حققه في قضية التطور الاجتماعي والزراعي ونجاح مشروعه في مراحله الأولى، فعمل على تحديث هذا الكيان بالدرجة التي تجعله قادرًا على التعامل مع متغيرات العصر، ومواجهة التحديات العالمية، وذلك من خلال العمل السياسي والتنمية الاجتماعية، وهذا يتضمن تغييرًا لنمط العمل الإنتاجي من الرعي إلى الزراعة، كما يعنى بالتحول من الارتحال إلى الاستقرار، وهذا التغير في نمط الحياه يعمل على إكساب البدوي الذي يطبق عليه برنامج التوطين عادات وطبائع وأخلاقًا جديدة تحول فرديته إلى مواطنة، وتُغير ولاءه من القبيلة إلى ولاء الوطن، وأعلن دعوته للقبائل المرتحلة للإقامة في هذه الهجر المعدة لهم، وترك حياة الترحال المتعبة إلى حياة الزراعة و الاستقرار، بل بادر بإنشاء مدرسة زودت بعدد من الفقهاء وإيفاد دعاة ومرشدين إلى القبائل لوعظهم وإرشادهم، وتشجيعهم على إحياء الأرض بزراعتها، والاشتغال بالزراعة بدلًا عن الرعي، وأمدهم بالأموال، ووزع بذور الشعير والحنطة على الأهالي، وهو ما أسهم في تخفيف حدة الرفض.

واستطاع التوطين أن يستبدل المجتمع البدوي بمجتمع حضري يقيم حول موارد الماء في الواحات، عمل سكانه في الزراعة، وكان هذا أكبر تغيير اجتماعي واقتصادي حدث في الجزيرة العربية في العشرينات من القرن الماضي، وفتح الباب أمام تحول اجتماعي كبير نتج عنه إسكان البدو في قرى زراعية، ورأى الملك عبد العزيز أن يعمل على تخفيف روح التنقل والبداوة لديهم فشجعهم على بيع الإبل حتى لا تراودهم فكرة العودة إلى حياة الترحال وعدم الاستقرار مره أخرى[47]؛ وبدأ باستمالة رؤساء القبائل للتأثير على أفراد القبائل، وأعطاهم بيوتًا خاصة في الرياض، لأن المعارضة ستكون من شيوخ العشائر لأن بعضها ما زالت محتفظة لنفسها بتنظيمها القبلي والسيطرة الكاملة على أفراد القبيلة، كما أخذ يوزع الأراضي المجاورة للهجر على أفراد القبائل ليزيد في ارتباطهم بتلك الهجر، وقد لاقت هذه الفكرة قبولًا كبيرًا؛ لأنها كانت تعد أحد حلول بعض سنوات الجدب والقحط في البادية[48].فكانت إستراتيجية الملك عبد العزيز في التعامل مع رؤساء القبائل وأفرادها كسب ودهم أولًا، ثم ترغيبهم بالعطايا وتوزيع الأراضي، مع الحرص أن يظل شيخ القبيلة هو المنظم الداخلي لسكن أفراد القبيلة حتى لا يفقده مكانته من ناحية ومن ناحية أخرى تتم عملية الاستقرار بشكل أسرع وأفضل.

كان حماس القبائل للإقامة في الهجر كبيرًا جدًا بعد رفضهم في بداية الأمر، فأخذوا يبيعون الإبل في سوق الكويت، ويأتون إلى الهجر ويبنون بها بيوتًا لهم[49]، ويدل على ذلك شعورهم بالفرق الكبير بين التوطين وحالتهم قبل ذلك من الناحية الاقتصادية والأمنية. بهذا تحقق كثير من أهداف الهجر في الاستقرار والبدء في العمل على تأمين الغذاء والاستقرار الاجتماعي لهم، كما اهتم الملك عبد العزيز بتحقيق الهدف الديني والفكري، حيث حرص على أن تؤلف كتب إسلامية مناسبة لسكان الهجر فتطبع وتوزع عليهم

ليدرسوها على يد أولئك العلماء، وكان لفتاوي العلماء في وجود العمل الزراعي وتأمين الاحتياج اليومي لهم من الغذاء دور كبير في بدء العمل بالزراعة، بعد أن كان ليس لهم مورد سوى عن طريق الرعي فقط[50].

وأجمعت كل الدراسات الحديثة على أنه لا ينبغي أن يكون توطين البدو بتهجيرهم؛ فالتوطين يشير إلى إقرار الجماعة في وطنها وبيئتها في إطار تقاليدها وعادتها وظروفهم البيئة المختلفة، أما التهجير فمعناه تغير جذري في ظروف الجماعة قربًا أو بعدًا عن ظروفهم الأولى، فالتوطين عملية نقل بشري كامل وانتزاع شخصية المجموعة المهاجرة تمامًا. هذه كانت رؤية الملك عبد العزيز الحضارية نحو تطوير البادية وتنميتها عن طريق نقل المدينة وأسباب التقدم إليها، وليس تفريغها من سكانها، وسمح نظام المشروع لكل قبيلة دخلت في مشروع التوطين أن تبقي قسمًا من أفرادها للقيام بالزراعة بدلًا من الاعتماد فقط على الرعي، وقسمًا يعملون في الرعي، وهذه كانت أحد مقومات نجاح المشروع وقبول أفراد القبائل البدوية الرحل أن يعتمدوا على الزراعة بدلًا من اعتمادهم على الرعي، وبذلك نجح المشروع العظيم للملك عبد العزيز وقضى على هاجس الأمن الغذائي.

فالتخطيط لتطوير الزراعة يستلزم التخطيط لمواجهة الضغوط على الأسرة ومقابلة التغيرات الاجتماعية، فلا يمكن أن يتوافر تخطيط اقتصادي لأي مجتمع بما في ذلك المجتمع البدوي إلا بأن يأخذ في اعتباره القوى البشرية بقيمها وعاداتها، أي أن التنمية الاقتصادية تتطلب بالضرورة نظرية التغيير الاجتماعي، من هنا كانت علاقة إيجابية بين التوطين والتنمية، حيث يعد التوطين ركيزة عمليات التنمية في المجتمعات البدوية؛ لأنه بدون إسكان وإقامة لأفراد القبائل في مجال مكاني محدد، فلا يمكن للتنمية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي أن تحدث التغيرات المطلوبة في نمط الحياة البدوية سواء كان الجانب البشري أو الجانب المادي[51]. من هنا، أصبح التوطين الوعاء الذي يحتوي على التنمية التي بدورها تحقق الأمان الغذائي للمواطن، كما أن القوافل التجارية تسير تحت تهديد القبائل وانعدام الأمن ولا تمر إلا بدفع إتاوة، فأصبح أبناء القبائل بعد التوطين هم حماة الطريق، ويرون حرمة التعدي عليها وعلى المسافرين، نتيجة لما وصلوا إليه من التثقيف والوعظ من العلماء والمرشدين الذين خصصهم الملك عبد العزيز بالهجر.

أسهمت الهجرة في تعميق مبدأ الأخوة الإسلامية بين القبائل بعد الصراع المستمر على مواطن الكلأ، وذلك بسبب عمق المبادئ الإسلامية، وطاعة ولاة الأمر والأخذ بنصائح العلماء[52]، والدور الذي أسهم به المرشدون والعلماء، حيث قاموا بترغيب البدو في بناء القرى الزراعية وفي ممارسة الزراعة، لأن مثل هذه الأعمال تُعدُّ واجبًا اجتماعيًّا تقتضيه سنة التطور والعمران[53]؛ نتيجة لذلك ظهرت لأول مرة في الجزيرة العربية مجموعة كبيرة من الوحدات السكنية الزراعية المستقرة للسكان الذين كانوا بدوًا رُحَّلًا، كذلك استهدف الملك بذلك تطوير بلاده تطويرًا اقتصاديًّا بفضل قرى راعية يمكن بوساطتها تحسين الأحوال الاقتصادية لسكان البادية.

وهكذا فإن الهجرة الزراعية كانت تشكل وحدة إدارية اقتصادية مستقلة قائمة بذاتها، وازداد عدد الهجر كثيرًا في عهد الملك عبد العزيز حتى أوصلها بعض الباحثين إلى 200 هجرة[54] موزعة في منطقة نجد والأحساء ومناطق الحجاز؛ وقد كانت منطقة القصيم في نجد من أكثر المناطق في عدد الهجر التي أنشئت فيها، فكان فيها حوالي 21% من هجر المملكة، هذا، ولقد اختيرت منطقة القصيم في الشمال الأوسط من المملكة كمنطقة لأكبر توطين بسبب موقعها المركزي؛ وتوفر الإمكانات الزراعية بها، فمن أهم خصائصها الطبيعية هي وادي الرمة الكبير الذي يقطع المنطقة كلها من الغرب إلى الشرق، وأغلب الهجر تقع بالقرب من وادي الرمة وروافده فكانت منطقة زراعية بل توسعت زراعتها إلى مستوى تجاري وخاصة في البطين السهل الممتد لمسافة 50 كيلو مترًا شمالي بريدة؛ وأصبح هناك على الأقل 35% من السكان يعتمدون بشكل مباشر على الزراعة، ويشتغل حوالي ثلث السكان بالزراعة، حتى غدت هذه المراكز واحات كبيرة[55]. هذا يعكس فكرة الملك عبد العزيز والقضاء على هاجس الأمن الغذائي بالزراعة، كما حرص عند توطين القبائل أن يكون حول المراعي التي تتوافر فيها مصادر المياه، مع مساعدة هذه القبائل بسلالات مختلفة من الحيوانات التي ألفوا تربيتها، كما يكون اختيار الأماكن الصالحة للزراعة، ومحاولة التوطين مباشرة فيها عن طريق إنشاء مزارع خاضعة للإشراف الحكومي، مع تزويدهم بالبذور الصالحة للزراعة، وتوفير المياه؛ وقد نجحت هذه السياسة في تأمين الغذاء. يقول الريحاني: "باشر ابن سعود إصلاحه الكبير بالوسائل الدينية، فكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها دين التوحيد والفرائض ويزينوا لهم هجر ما هم فيه إلى إيمان يستشعرون، وبيت يأوون، وأرض يحرثون[56]، يعكس هنا الدور الكبير للمرشدين والعلماء وتشجيعهم على إحياء الأرض بزراعتها، ويعملون بالزراعة بدلًا عن الرعي.

ثانياً. العوامل التي ساعدت على نجاح مشروع التوطين الزراعي وتخطي عقباته:

هناك مجموعة من العوامل التي ساعدت على نجاح المشروع وإخراجه من حيز الفكرة إلى التنفيذ والعمل [57]، من هذه العوامل:

- نجاح دور العلماء والمرشدين في إنجاح المشروع؛ فقد ساندوا الملك عبد العزيز بقيامهم بإصدار فتوى تقضي بضرورة قيام البدو ببناء القرى والمدن وممارسة الزراعة، وقد وصف تشيزمان Cheesman نجاح مشروع التوطين بقوله: "إن مشروع توطين البدو الذي اهتمت به الصحف الأوروبية، كان ذكاء خارقًا من السلطان عبد العزيز، وهو يوضح مدى حيويته ونشاطه"[58].. كما وصفه هاريسون"Harrison" البريطاني الذي زار الرياض عام 1338هـ/1918م حالة الإعداد لهذا المشروع الكبير، فيقول: "إن الناس في الرياض يعيشون للعالم الآخر، مئات يدرسون في المساجد ليكونوا معلمين ومثقفين دينيين للبدو بين القبائل، وكانت الرياض المركز الذي يخرج منه العلماء الدينيون الذين يوزعون إلى أنحاء البلاد ليقوموا بتثقيف البدو"[59]. فالحماس الديني

عند البدو والبسطاء، كان عاملًا من عوامل نجاح المشروع حيث إن لديهم إحساسًا عميقًا بالأمور الدينية، يقول أمين الريحاني:" فجاء العلماء بالتاريخ، وبأخبار السلف فسلحوا بها المطاوعة، فراح هؤلاء يحاربون بها البطالة والكسالى، راحوا يعلمون المتحضرين أن الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين، وأن المؤمن الغني خير من الفقير.."[60].

- نجح الملك عبد العزيز –رحمه الله– في إقناع القبائل لبيع الجمال، والاعتماد على الزراعة والاستقرار بدلًا من الرعي والتنقل.
- كثرة عطايا الملك عبد العزيز لشيوخ القبائل والبدو من الأموال والأرز والحبوب والشاهي وبعض التسهيلات اللازمة للزراعة، والواقع أن هجرهم لم تكن هجرًا زراعية بالمعنى الحقيقي، وربما ذلك نتيجة لظروف البيئة الصحراوية في البلاد.
- أصبحت القبائل أكثر حبًا للاستقرار من حياة الترحال، والجفاف المميت في ديارهم، فوجدوا مرونة في الاستقرار بالهجر أكثر من الصحراء.
- مرونة نظام الملك عبد العزيز بالتوطين، فقد سمح لكل قبيلة كبيرة أن تبقي قسمًا من أفرادها في الصحراء يعملون في الرعي، أما الباقون فيرسلون إلى الهجر للقيام بالأعمال الزراعية، فكانت مرونة النظام من العوامل التي شجعتهم على قبول المشروع[61].

كانت هذه بعض العوامل التي أسهمت في نجاح مشروع التوطين، ومحاولة زرع حب حياة الاستقرار في قلوب القبائل، وإنجاح المشروع اجتماعيًّا، وسياسيًّا، ودينيًّا واقتصاديًّا للنهوض بالزراعة.

وعلى الجانب الآخر، يرى مجموعة من الباحثين أن هناك سلبيات للمشروع، منها: تركيز البدو وسكان الهجر على العبادة وترك زراعة الأرض للأطفال والنساء، فضلًا عن عدم وعي سكان الهجر برسالة الهجر الاقتصادية، والاجتماعية، والإنتاجية، كما ذكروا بعض السلبيات، من ذلك: بيع الأبل، مما جعل المملكة تتحول من تصدير الماشية إلى استيرادها[62].

ومن وجهة نظر الباحثة أن هذه السلبيات ليس لها تأثير قوي على إنجاح المشروع أو فشله، بدليل التغير في التركيبة السكانية للسكان الذين كانوا يشكلون أكثر من 60% من البدو، أصبحوا بعد عملية إنشاء التوطين أقل بكثير، حيث نلاحظ تدرج وهبوط نسبة أعداد سكان البادية، وزيادة عدد الهجرات (172) هجرة، وذلك دليل على نجاح المشروع، كذلك مشروع توطين الزراعة كان كبيرًا جدًا وله أهداف مستقبلية كبيرة تعود بنفعها على القبائل بدلًا من الاقتصار على الرعي. وتشير الأرقام الإحصائية إلى أن نسبة سكان البادية انخفضت من 68% عام 1351هـ/1932م، إلى حوالي 27% عام 1394هـ/1974م[63]، ودليل آخر على قوة نجاح توطين الزراعة ما ذكره الكاتب الفرنسي "بنوا ميشان (J.Benoist Mechin)" حينما قال:" أو ليس من الغرابة تأسيس قوة وأمن بلد على الزراعة، في حين أن

هذا البلد صحراوي في معظم مساحته، ليس من نهر يرويه ولا يتلقى سوى سبعة سنتيمترات من المطر في العام"[64].

ثالثاً. نتائج نشأة التوطين الزراعي بالهجر:

يعد التوطين وإنشاء الهجر أحد الأحداث المصيرية الكبرى في تاريخ المملكة العربية السعودية، وفي رسم حاضرها، وتغيير مجرى التاريخ فيها، وهذا يدل على عظمة المخطط والقائد لفكرته، وما تميز به من قدرات خلاقة، وشخصية متزنة. إن تعدد النتائج واستمرار نجاحها يمثل قدرة الملك عبد العزيز الشخصية على تحويل الطاقات لدى المهاجرين الجدد إلى نواحٍ شتى، منها: الزراعة، والصناعات الزراعية، والبناء والتعمير، والتمسك بالعقيدة الصحيحة. وهكذا أدت شمولية النتائج إلى نقل البدو نقلة حضارية ما زالت دعائمها راسخة حتى الآن[65].

يدلنا تعدد النتائج على النهضة الشاملة للتوطين، بعيدًا عن عصبية القبائل ودمج الكتل العشائرية بعضها في بعض لتظهر فيما بعد، وبعد اكتمال النتائج أمة متجانسة، نجح فيها الملك عبد العزيز في المزج بين الواقع وبين ما أراده، فكان التوطين الزراعي بالهجر بعد اكتمال النتائج مستقرًا وذا أهمية بالغة، استبدلت فيها التقاليد الصحراوية السابقة والقبائلية بالشريعة والعقيدة الصحيحة، الأمر الذي حقق نجاحًا للنتائج الجذرية للمشروع، وثمرتها اقتناع القبائل بفوائد التوطين والاستقرار، وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء. ومن أهم النتائج أيضًا:

- القضاء على فكرة المفهوم السائد للقبيلة في الطاعة والولاء والتعصب لها، فقد استطاعت الهجر أن تربط ولاء أبناء القبيلة بها، وأن تجعل وجودهم بالقرب من الآبار وأماكن تجمع المياه للعمل بالزراعة والرعي[66].
- النجاح الاقتصادي للتوطين والاستقرار في الهجر مع نمو ولاء الأفراد للعقيدة والملك والوطن، وجعل هؤلاء الأفراد يؤدون الزكاة بانتظام وعن طواعية، وبهذا تَحقق جانب من جوانب الاقتصاد والنمو الاقتصادي[67].
- أسهمت الهجر إسهامًا في التزام القبائل بالعمل الزراعي، والعمل لتكوين قوة عسكرية منظمة بكل هجرة، مع البقاء على حرفة الرعي خارجها، فمرونة المشروع جعل أفراد القبيلة يمارسون الزراعة والرعي مع إيجاد قوة عسكرية منظمة تابعة للحكومة.
- أن عملية التوطين وقيام الهجر عملية اقتصادية، فقد تطلب التوطين الزراعي إقامة مرافق إنتاجية ومد الهجر بوسائل الإنتاج، وحين أقيمت الأرطاوية، كان الملك يرى ضرورة تعليم سكانها الزراعة والرعي، وصحب ذلك تنظيم توزيع الماء بين المستوطنين، فكأنها كانت عملية تنمية

وزيادة في عدد العمالة الوطنية المنتجة، وما ترتب عليها بالتالي من نمو حركة التجارة وحركة الصناعة المرتبطة بالحياة الجديدة[68].

- أصبح لدى قلب الجزيرة العربية طراز معماري خاص، وهوية تميزهم عن بقية مناطق المملكة العربية السعودية، والاستفادة من مواد البناء المنتجة محليًا، كاللَّبِن (الطين المخلوط بالتبن الذي يبني به جدران منازل الهجر)، واستغلال الصخور الكلسية في تدعيم القواعد والأعمدة، واستخدام أخشاب أشجار النخيل والأثل في صناعة الأبواب والنوافذ للمحافظة على الرطوبة وعزل الحرارة. هذا كله كان نتاج العمل بالزراعة، فقد فتحت لهم الآفاق في استخدام بعض مكوناتها لبناء البيوت من اللبن والطين بدلا من الوبر والشعر، وأصبحت هناك هوية تراثية في العمران.
- الإقلاع عن العادات الموروثة في الكرّ والفرّ والسلب والنهب بالاستقرار في بقعة معينة، وتدريبهم على الأعمال الزراعية التي تنظمها مصادر المياه الموزعة عليهم، فباعت القبائل المواشي والخيم بعد توزيع الملك عبد العزيز عليهم الأموال ومواد البناء، والبذور لزراعة بعض المحاصيل كالتمور والقمح.
- تقديم كافة صور الرعاية من تعليم وغذاء وغيرها لنجاح عملية التوطين ذاتها.
- إشراك أفراد القبائل في العمل، في الاقتصاد القومي؛ ليصبحوا عنصرًا فاعلًا في التنمية، يستطيعون تأمين غذائهم.
- غرس حب الاستقرار وعدم الترحال في نفوس البدو بتقديم كافة الخدمات الحيوية اللازمة لهم.
- الارتقاء بمستوى معيشة ودخل الإنسان السعودي إلى معدلات عالية انعكست بالتالي على مسيرته وعطائه وإنجازاته[69].
- تحقيق نتيجة الهدف الاقتصادي للتوطين؛ فبعد أن كانت القبائل تقوم بكفاية نفسها بمستلزمات الحياة المختلفة، وكانت تنتج ما تحتاج إليه كبعض المنتوجات الزراعية والمواشي، تغير النمط الاقتصادي من اقتصاد الكفاية إلى اقتصاد السوق، وأصبح الناس لا ينتجون لأنفسهم أو لعائلاتهم فقط كما كانوا يفعلون من قبل، وإنما ينتجون للمجتمع بعد أن زاد اعتمادهم على القرى والمدن؛ إذ تقام الأسواق أسبوعيًا، فازدهرت حركة البيع والشراء، وتنامت الحياة التجارية[70].
- لقد أدت الجهود المبذولة في الاستثمار إلى تنمية الموارد البشرية؛ إذ وفَّرت عددًا من الكفاءات المؤهلة والمدربة تدريبًا عاليًا، وكونت قاعدة الانطلاق للأعمال الزراعية والصناعية التي أصبحت نواة قطاع خاص يشارك بفاعلية في مسيرة التنمية. فلما تكاثر عدد الهجر تزايد الطلب على المعلمين والمرشدين، فنقلت مجموعة إلى الرياض للتعلم على المشايخ، ليعود هؤلاء وقد تعلموا وتفقهوا؛ ليقوموا بالتعليم ومحو الأمية، وجند الملك كبار العلماء وندبهم فرادى لتفقيه سكان الهجر في الدين.

- التغيير الجذري في قلب الجزيرة العربية في التحول الاقتصادي من الرعي والكر إلى النمط الزراعي، مع الحرص على الانتفاع بالآبار والمياه المخزونة في باطن الأرض في الري والتنمية الاقتصادية، واستغلال المياه الجوفية[71].

إن هذه النتائج قد أثبتت أن الذي يزرع يحتاج إلى حكومة ثابتة، وأن توطين البدو كان معناه دعوتهم لأرض واستقرار وراحة وأمن غذائي ليس فيها جوع، ومن ثم فإن القانون والنظام والحكومة الثابتة أمور لازمة، وكان على أسس قوية قد جعل من التوطين المرتبط بالعقيدة الصحيحة منهجًا ونظامًا متجددًا على الدوام، ودليل ذلك النجاح الكبير، وارتباط قلب السكان بالتوطين الزراعي صيغ علم البلاد مشتملًا على النخلة الدالة على الخضرة تصويرًا لمقاصد الملك عبد العزيز، وتحقيقًا للخير والاستقرار للزراعة.

هذه النتائج الاقتصادية للتوطين قد حققت للمملكة العربية السعودية الاستقلال الاقتصادي، خاصة وأن الملك في فترة تأسيس التوطين كان يقوم بتوحيد المناطق والأقاليم، ولم يهتم بالأمور المالية والإعانات التي قد تؤثر في خططه في قرار التوطين، وإنما كان هدفه الأول تنفيذ فكرته التي بناها على تجاربه الشخصية، ونظرته العميقة البعيدة المدى.

المبحث الثاني. مشروعات التنمية للتوطين الزراعي وحل مشكلة الأمن الغذائي للمجتمع السعودي:

تعدُّ قضية الأمن الغذائي من القضايا المحورية التي اهتم بها الملك، وذلك لأن الأمن الغذائي أساس لتحقيق التنمية المستدامة، التي تعدُّ الزراعة أحد أهدافها؛ وقد كانت من التحديات الرئيسة التي واجهت الملك عبد العزيز؛ لارتباطها بالمياه والموارد البشرية، وتوفر الإمكانات المالية، والنزاعات بين القبائل والحروب المستمرة ذات تأثيرات سلبية على أوضاع الأمن الغذائي. ويبدو أن الملك عبد العزيز كان يريد من موضوع تثبيت القبائل وتوطين البدو أن يكون منهجًا مضطردًا، بمعنى وضع نواة الزراعة وتطورها إلى أن يحدث اكتفاء ذاتي لتحقيق الأمن الغذائي، ووضع أساس الأمن، ولقد صدقت نبوءته تمام الصدق[72].

وكان الملك عبد العزيز يؤسس لبرامج التنمية ومشاريعها على أرض الواقع، على الرغم من أن التحديات أمامه كانت جمة، بل لقد كان وهو في غمرة انشغاله في توحيد البلاد يفكر في تكريس مقومات الدولة وآليات أدائها، فكان من صميم هواجسه واهتماماته الأولية حرصه الشديد على تأمين الغذاء والماء، كما أدرك أن القبيلة خلال أشهر الترحال تبدل الأرض التي تنصب عليها الخيام، ومن ثم كان يوجد بدو الارتحال الواسع، وبدو الارتحال المحدود، وبدو الارتحال الموسمي، وكان هذا الارتحال وتبديل الأرض هو الذي يؤدي إلى احتكاك القبائل بالمناطق المستقرة، وكان لا بد أن يحدث إما تبادل تجاري أو غزوة، أو غارات على المناطق الزراعية المجاورة؛ ومن هنا رؤي أن يأتي الاستيطان الزراعي على شكل يجمع بين حياة مستقرة وشبه مستقرة، بمعنى الجمع بين الزراعة والرعي بذات المكان[73]. بناءً على ذلك، ندرك لماذا وجه الملك إلى الزراعة اهتمامًا عظيمًا، في إصرار على الخلاص من أساليب الزراعة البدائية الشائعة آنذاك. في

حين أن الزراعة لم تكن ضمن اهتمامات أغلبية أهالي سكان شبه الجزيرة العربية، خاصة في المنطقة الوسطى والشمالية، ولم تكن لها الأولوية كمورد اقتصادي يعتمدون عليه، وذلك يُعدُّ من العوامل السكانية التي أثرت في الزراعة. كما لم تتوفر الوسائل والآلات الحديثة التي تسهم في النهوض بها، وكان الاقتصاد الرعوي أو الاقتصاد المغلق، والقائم على النشاط المبعثر غير المنظم هو النشاط المعتمد للقبائل، والذي يستهدف تأمين الحياة اليومية بالحد الأدنى، وكان معظم ما ينتج يستهلك إلى جانب أن الأراضي الزراعية تضم مساحات ضئيلة، حيث تبلغ 300,000 هكتار=750,000 فدان. يعتمد 80% منها على الري، بينما تعتمد المساحات الباقية على مياه الأمطار، وتقع معظمها في منطقة جبال عسير في جنوبي المملكة(74).

كذلك أدرك الملك عبد العزيز أن مفهوم الأمن الغذائي ينطوي على عدد من المرتكزات من أهمها مدى وفرة وكفاية الإمدادات من السلع الغذائية، ويعتمد على الإنتاج المحلي من السلع الغذائية، والذي يعتمد بالدرجة الأولى على مدى توافر الموارد الزراعية الطبيعية والبشرية، وتوجهات السياسات الزراعية، مع توفير البنية التحتية الزراعية لها، وكل هذه المرتكزات أدركها وعمل على دراسة قدرة فكرة التوطين الزراعي على خلق البيئة المناسبة للاستثمار الزراعي، ولكن قبل الحديث عن جهود الملك عبد العزيز لتوطين الزراعة نلقي الضوء على بعض الصعوبات التي اعترضت التوطين الزراعي كابتعاد بعض أهالي البادية عن الزراعة.

أولاً. عوامل ابتعاد أهالي البادية عن الزراعة:

تعرض المشروع في بداية نشأته إلى مجموعة من الأسباب والعوامل التي دفعت البدو للابتعاد عن الزراعة، فظلوا في رحلة البحث عن الكلأ والعشب، وكان من أهم أسبابها:

- ندرة الأراضي الزراعية الخصبة، حيث إن معظم مساحة المنطقة تندرج تحت تصنيف الصحراء، مع أن فيها مخزونًا من المياه الجوفية، لكن لم يألفوا استخراجها، حتى يظلوا محتفظين بحياة الترحال والتنقل، وعدم توافر الماء والعشب على مدار السنة، وهاتان المادتان أساسان في حياة البدوي من أجله ومن أجل مواشيه، وعدم وجود أي منها يؤدي إلى عدم الاستقرار أو التجمع في منطقة واحدة، ويسهل الوصول إليها من أجل تقديم الخدمات اللازمة لهم(75).
- افتخار البدو بحياة الترحال، فهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم النموذج المثالي للبشر، فحياتهم غير مستقرة مع كثرة الترحال داخل حدود إقليمهم وخارجه، وحرية التنقل في الصحراء دون قيود ولا حدود.
- قلة المياه الصالحة للشرب، خاصة في إقليم الحجاز، أدَّت إلى عدم نمو هذه المدن طبيعيًّا، ويعلِّل بعض المؤرخين أن قلة المياه كانت سببًا في جعل السكان يتركون الزراعة ويتجهون للعمل بالتجارة التي جذبت اهتمامهم، كما حدث في مدينة جدة(76).

- استخدام الأساليب الزراعية الخاطئة والبدائية، نتيجة جهلهم بمهنة الزراعة، فقد كانت تزرع أشجار النخيل، وبينها يزرعون أشجار البرتقال، والليمون والخوخ والمشمش، ويزرعون الخضروات على اختلاف أنواعها. بالإضافة إلى الأرز الذي كان يزرع في إقليم الإحساء، والواقع كانت عملية المنتوجات الزراعية تتم بشكل غير منظم، وتخضع دائمًا للظروف السياسية، فكان المزارع يُصاب بخيبة أمل عندما تعم الفوضى للإقليم؛ نتيجة للحروب القبلية وتدمير المحاصيل، فيسلب البدو المحاصيل الزراعية.
- تعلق المجتمعات البدوية بالتمسك والعيش في الصحراء، يقول حافظ وهبة: "إن البدوي في الصحراء لا يهمه إلا أن ينظر إلى المطر والمرعى، فأزمته الحقيقية انحباس الأمطار وقلة المراعي، ولا يبالي بما يصيب العالم الخارجي مادامت أرضه خضراء، وبعيره سمينًا، وغنمه قد اكتنزت لحمًا، وقد طبقت شحمًا"، فالرعي من عوامل تماسك البدوي الذي استطاع تسخير الصحراء لخدمته(77).

كانت هذه بعض المشكلات بين البدو والزراعة في كل مناطق شبه الجزيرة العربية، وكان سببها في المقام الأول عدم توفر السلطة المركزية القوية في هذه الأقاليم التي كانت بحاجة إلى حكومة قوية تفرض الأمن والنظام وتنهي سيادة القبائل، وتضعف حركات التمرد والانتفاضات التي تلازم الأوضاع السياسية السائدة وقتها في تلك الأقاليم، ولقد استطاع الملك عبد العزيز أن يفرض الأمن والنظام، وإيجاد حلها بالتوطين الزراعي، كإحدى أكبر المشكلات التي تأثرت بها البلاد، ويعمل على وجود الأراضي الصالحة للزراعة، فالتنمية الاجتماعية مرتبطة بالتنمية الاقتصادية، وتأثر الاقتصاد الزراعي للبلاد بالتركيبة الاجتماعية للسكان(78).

ثانيا. سياسة الملك عبد العزيز لمعالجة مشكلة الأمن الغذائي بالتوطين الزراعي في ظل ظروف العوامل السكانية وعدم استقرار القبائل في المناطق:

تتابعت جهود الملك عبد العزيز بعد تأسيس التوطين لبعض القبائل، بالتركيز على الزراعة وخدمة المزارعين، وإصلاح أحوالهم، يقول الكاتب الفرنسي "بنوا ميشان": أو ليس من الغرابة تأسيس قوة وأمن ما على الزراعة في حين أن هذا البلد صحراوي في معظم مساحته، ليس من نهر يرويه، ولا يتلقى سوى سبعة سنتمترات من المطر في العام"(79).

ولم يستسلم الملك عبد العزيز وجاء بالخبراء والمهندسين من الولايات المتحدة، وعثروا على كميات من المياه في بعض الآبار، والبعض مدفونة تحت الرمال في أماكن متفرقة من المملكة، فقد تم اكتشاف طبقة من المياه الجوفية على مساحة 40كم من مدينة جدة، فأتيح استغلالها بالإضافة إلى مياه وادي فاطمة(80) في تزويد مدينة جدة والمناطق المجاورة بالمياه الجارية، ولذلك جاءت توجيهات الملك عبد العزيز

نحو ترميم الآبار المهجورة، وتبعها إنشاء القنوات والمجاري عبر الصحراء وبناء السدود لحصر المياه من أجل أفراد المجتمع السعودي، ومن أجل الماشية، وكانت بشائر النجاح في تفجير المياه من الأرض مقدمة طبيعية للتفكير في تطوير الزراعة والعناية أكثر بالإنتاج الزراعي بمختلف أنواعه[81]. ففي تاريخ 1347/4/4هـ-1928/9/20م صدرت الموافقة الملكية على إنشاء هيئة زراعية بالمدينة المنورة، لكي تكون مرجعًا للمزارعين يرتبطون بأمير المدينة المنورة آنذاك، الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود[82]؛ ومن أهدافها الإشراف على العمل الزراعي، والسعي إلى تطويره وأن تكون مرجعًا للمزارعين، وقد تألفت تلك الهيئة من الشيخ عباس قمقمجي رئيسًا[83]، والشيخ صالح شقلبها[84] عضوًا[85].

كما صدرت الموافقة الملكية على تعيين محمد نيازي[86] كاتبًا لدى هيئة الزراعة في تاريخ 1348/2/28هـ-1929/8/5م، وجاء اختيار الملك عبد العزيز للمدينة المنورة كأول مدينة يؤسس بها إدارة زراعية دليلًا واضحًا على مكانتها الزراعية والدينية لديه؛ إلى جانب وجود الأودية الزراعية بالمدينة كوادي العقيق[87]، وشهرتها بمزارع النخيل، وربما كانت البذور التي تم توزيعها لمحاصيل التمر على بعض الهجر بداية تأسيسها مصدرها المدينة المنورة. هذا، وقد حظيت الهيئة بالأولوية من حيث إنها أول جهة تعني بأمور المزارعين، وليست تابعة لأي جهة أخرى رسمية سوى أوامر الملك شخصيًا[88]، ووافقت الحكومة سنة 1346هـ-1927م على مطالب مزارعي المدينة المنورة من إعفائهم من دفع جميع رسوم الأدوات الزراعية، مما يحتاج إليه الفلاح للزراعة على اختلاف أنواعها من مضخات مائية وغيرها، بشرط أن يدفع للحراث تأمينًا حتى يأتي من الحكومة بشهادة تدل على استخدامها في المجال الزراعي، ثم تسترجع ما قدر له ترغيبًا للمزارع في اكتفاء البلاد بمحاصيلها الداخلية عن الخارج[89]، كما ساعدت هذه الإعفاءات كل مزارع، فأصبح بإمكانه أن يقتني في مزرعته أحدث الآلات والمحاريث الزراعية آنذاك، وخصوصًا في المدينة المنورة[90].

وكانت بداية حفر الآبار بطريقة حديثة عام 1362هـ/1943م، إذ أحضرت أول حفارة ميكانيكية -حفرت بمنطقة العيون بالمدينة المنورة[91]، ووصلت إلى القصيم عام 1362هـ/1943م- شركة أمريكية أحضرت معها أول حفار آلي، وبدأ الحفر مباشرة في جنوبي بريدة الصقعاء[92]، ولم يكتب لتلك المحاولة النجاح، فقد أخفقت حين تعطل الحفار، ولم تتمكن الحكومة من إصلاحه بسبب الأوضاع الاقتصادية خلال الحرب العالمية الثانية[93]، ثم واصلت الحكومة نشاطها في عهد الملك عبد العزيز، ففي عام 1364هـ/1944م بدأت شركة بكتل بحفر أول بئر أنبوبية بحفارة دقاق لعمق 31 مترًا في وادي المربع بمنطقة ينبع، وقد أنتجت مياهًا عذبة صالحة للشرب[94]؛ وعملت الهيئة على توفير مئة وعشرين ماكينة زراعية، مع كل ماكينة 50 جنيهًا[95] على أن تقسط أثمان المكائن مع النقود المعطاة معها على مدى ست سنوات، وأن تكون للمدينة المنورة ستون، وللقصيم ستون[96].

وهذا، يفسر لنا سبب توجه الملك عبد العزيز لتأسيس أول هيئة زراعية في المدينة المنورة؛ لوجود زراعة النخيل بها والأودية كذلك؛ كما أنه اختار القصيم ليكون بها أكثر من ثلث الهجر للتوطين الزراعي لموقعها على ضفاف روافد وادي الرمة، فالهدف الزراعي كان مرتبطًا بها منذ تأسيسها، ثم تمت الموافقة على تشكيل هيئة زراعية في بعض المدن أسوة بالمدينة المنورة، وقد تم الحديث عن ذلك في اختيار الملك عبد العزيز بعناية كبيرة لمواقع التوطين(97).

ونظرًا لأهمية حفر الآبار لخدمة الزراعة، أمر الملك عبد العزيز عند إقامته بالأحساء في شهر رمضان من سنة 1348هـ/1930م، بجلب عدد من معدات حفر الآبار من البحرين لحفر الآبار الارتوازية ما بين الأحساء والقطيف(98). ومن أمثلة الآبار الكائنة في مزرعة البديعة، وقد جربت الماكينة في تلك المزرعة أمام أنظار الملك عبد العزيز، وجمع من التجار والمزارعين وأهالي الرياض، فكانت ناجحة نجاحًا باهرًا، وهو ما دفع الملك أن يوصي بجلب مئتي ماكينة على المزارعين على أن تؤخذ أثمانها بالتقسيط لكي يسهموا بالزراعة إسهامًا فاعلًا(99)؛ كما أمر الملك عبد العزيز معتمديه في العراق وسوريا ومصر باختيار عدد من المهندسين الزراعيين ومساعديهم وإرسالهم إلى العمل في بعض المناطق الزراعية بالمملكة، منها: القصيم، والأحساء، والقطيف، والخرج، والمدينة المنورة، ووادي فاطمة، والطائف، حيث تتوافر مياه العيون والآبار؛ وفي بلاد عسير تتوافر مياه الأمطار، مع توفير الماء للمناطق التي يشح فيها الماء. كذلك طلب من كراين إرسال بعثة للتنقيب عن الماء في الحجاز خاصة، وجاءت البعثة برئاسة المهندس الجيولوجي الأمريكي تويتشيل عام 1349هـ/1931م، وبعد نهاية عمله قدم تويتشيل تقريرًا إلى الملك عبد العزيز(100)، يقول خير الدين الزركلي :"قام الملك عبد العزيز بحفر الآبار الأرتوازية في كثير من أنحاء البادية الجرداء، وأعان على حفرها، وجلب الماكينات لها، وأوعز إلى رجال المالية بتقسيط أثمانها تيسيرًا على المزارعين، فانتشرت الآبار في مدن نجد وقراها وهجرها، وأول ما حفر من الآبار في جهتي الدمام والقطيف، وعمل عبد العزيز ما استطاع لتوفير المياه في مملكته في أكثر أجزائها"(101).

فكان من نتاج رعاية الملك عبد العزيز حفر الآبار في أغلب مناطق المملكة قيام كثير من المشروعات الزراعية، والحدائق المتعددة، والمزارع الأهلية، وكانت البذرة الأولى لتشجيع المزارعين حديقة قصر المنصور التي أقيمت عام 1346هـ/1927م في مكة المكرمة، والتي بادر الملك عبد العزيز بإنشائها لتكون دافعًا للمزارعين للنهوض بالزراعة، وقد غرس فيها ما يقارب من ألفي غرسة من الخضار والفواكه التي جلبتها الحكومة من إدارة الزراعة في حكومة السودان(102)، وقد تنوعت العمالة المستخدمة لاستغلال الأراضي الزراعية وخطة توطينها، ومنها:

- العمال الموسميون، وهم عمال مستأجرون تدفع أجورهم يوميًا، ويتركز عملهم في مواسم تلقيح النخيل وصرام التمور، وحصاد الحبوب وإعداد التربة للزراعة وتنظيف قنوات الري(103).

- عمال المزارع والحقول، ويطلق عليهم في المنطقة الشرقية اسم الشريك، ويقومون بالأعمال الزراعية اليومية، وتتم مكافأتهم بطرق عدة، ومنها الاتفاق مع مالك الحقل بإعطائه كمية معينة من محصول التمور[104].
- عمال يستأجرون الحقل لاستغلاله وزراعته نظير مبلغ معين من المال، أو نظير تقديم جزء من الإنتاج للمالك، ويطلق عليهم: "الكداد" للقيام بالمشاريع الزراعية في منطقة الحجاز[105].

ثم تولت وزارة المالية في سنة 1351هـ/1932م برئاسة وزيرها عبد الله السليمان[106] رعاية شؤون الزراعة، بإشرافها على المهام المتعلقة بإنشاء المزارع النموذجية، إلى جانب قيامها باستيراد المكائن والمعدات الزراعية، وبيعها للمزارعين بالتقسيط على سنوات متتالية. وكانت تلك الخطوة دافعًا لتشجيع الحركة الزراعية في البلاد، فعهدت الحكومة إلى وكالة المالية العامة بجلب عدد كافٍ من المكائن الزراعية على حساب الحكومة لتوزع على المزارعين في نجد والحجاز، ويكون تسديد قيمتها بالتقسيط على سنوات متتالية[107]، فكان تدفق مكائن الماء إلى المملكة العربية السعودية يزداد سنة بعد أخرى، وتحظى بمتابعة الحكومة للوقوف على حالها، وهذا يدل على عناية الحكومة في عهد الملك عبد العزيز بهذا المجال[108].

هذا، وقد امتدح الرحالة جيرالد دوغري (Gerald De Gaury) حدائق الرياض وبساتينها عندما زارها سنة 1354هـ/1935م بقوله: "كانت ترى على امتداد المياه الجارية في وادي حنيفة أعداد كثيرة جدًا من أشجار المشمش والرمان، وقد فصلتها بعضها عن بعض مربعات من نبات البرسيم ذي الخضرة الزمردية، وكانت حمائم كثيرة تطير من هنا وهناك بين شعاعات الشمس، أو ترسم دوائر حول جذوع النخيل الذهبية"[109]، كما تم تأسيس مشروع الخرج الزراعي في منطقة وادي السهباء[110] في عام 1355هـ/1936م حيث قامت مديرية المالية بتعيين اثنين من المهندسين الزراعين العراقيين للتخطيط وتنفيذ استصلاح 2,500 فدان من الأراضي الزراعية في الخرج و800 فدان في منطقة" خفس وقارة"[111]. وفي سنة 1358هـ/1939م قد ناقش مجلس الوكلاء ضرورة تأسيس إدارة زراعية تكون تحت مظلة وزارة المالية تعمل على تسديد ديون المزارعين، وإصلاح أحوالهم، إلا أنه تم رفض المقترح لعدم مناسبة تطبيقه في الوقت الحالي[112]. كما وافقت الحكومة في العام نفسه على رأي وزارة المالية بإقراض المزارعين لإصلاح العيون[113]، ولم تبرز البداية الحقيقية للمشروع إلا في نهاية عام 1358هـ/ 1939م[114]. وتتم تغذية المشروع بالمياه من أربعة عيون بوساطة المضخات التي ترفع المياه إلى القنوات الرئيسية للري، ويتم توزيعها على القنوات الداخلية للمشروع.

كما تم إنشاء الطرق الزراعية للمشروع لمرور المعدات الزراعية، وأقيمت الحظائر الخاصة لتربية المواشي والدواجن، وتم استقدام مجموعة من الفنيين والخبراء الزراعيين والبيطرين من العراق ومصر ثم الولايات المتحدة الأمريكية للمساعدة في تنفيذ الخطوات التأسيسية للمشروع، وأرسلت البعثة الإدارة الفنية في حينه

بفريق من الخبراء الأمريكيين تحت إشراف الحكومة السعودية، ثم أصبح يدار بإشراف شركة أرامكو، بتفويض من الدولة[115]، وقد بلغ عدد العاملين بالمشروع (1452) بين فنيين وعمال في عام 1365هـ/1945م[116].

وافقت الحكومة على طلب وزارة المالية المتمثل في تسجيل الأملاك الزراعية لكل قبيلة، وتعيين هيئة في كل جهة يؤكل إليها أمر مزارعها، تتألف هذه الهيئة من عضو من الإمارة، وعضو من البلدية أو المجلس البلدي أو من المجلس الإداري في الجهات التي لا بلدية فيها، وعضو من المالية، وعضو من الشرطة، وعضو من المحكمة، حتى إذا انتهت كل لجنة من عملها قدمت بيانات وافية عن اسم الأرض إذا كان لها اسم، والحدود، والموقع، واسم المالك، وتاريخ حجة استحكام الملك إذا كانت لها حجة، وأنواع المزروعات التي بها، وصرف ما يستدعي ذلك من نفقات[117]، ثم شكلت هيئة لتقسيم مساعدات الملك المتمثلة في أكياس القمح، والمبالغ المالية الشاملة 30ريالًا مع كل كيس قمح[118].

تجلت سياسة الملك عبد العزيز بصورة واضحة سنة 1361هـ/1942م، حينما منح مساعدات للمزارعين بالقرض ذهبًا وقمحًا، لكل كيس من القمح ثلاثون ريالًا، فانتعش المزارعون فجعلت هيئة للتقسيم[119]، وسعى الملك عبد العزيز في سنة 1363هـ/1943م إلى التخفيف عن المزارعين حين عمد إلى إسقاط جميع الديون، ووعدهم بتقديم الدعم لهم، وطلب منهم الجدية في العمل الزراعي في خطابه الموجه لجماعة التويم[120] حين قال: "من قبل احنا اجتهدنا معكم وصرفنا بيت مال المسلمين لأجل معاونتكم ومصلحتكم ومصلحة المسلمين، وكل زمان ينقص منكم نقص فنتركه لكم، و هالسنة صار الذي ما سلمتوا يأهل نجد كلكم خمسمائة ألف وثمانية عشر ألف ريال...، يأهل نجد، التجار احتكروا وأغلوا الأسعار فظلموا المسلمين، هذا واحبينا نجعلها من طرف أنفسنا وطرحناها عنكم لأجل شراء ذممكم، فإذا ثبت عندكم معلوم فالباقي عندكم يأهل التويم ألفين وسبعمائة وواحد وخمسين ريال سلف، وقيام العيش هذا جدوله واصلكم برفقه تشرفون عليه إن شاء الله، فالذي سمحنا به فلن نجيكم به"[121].

وفي سنة 1363هـ/1943م صدرت الموافقة الملكية على النظام الخاص بالمزارعين والعيون وتنظيم العلاقة بين الأجير والعميل، ونصَّت المادة(41) منه على أن يكون انتخاب هيئة الزراعة مقصورًا على المزارعين فقط، وأن يقتصر الانتخاب على مزارعي المدينة، واستبعاد أبناء البادية من الانتخاب، لكي يكون الأعضاء مؤهلين لخدمة المزارعين[122]وفي عام 1364هـ/1944م أيقن الملك عبد العزيز –رحمه الله– أن البداية في التوسع الزراعي، يجب أن تعتمد على جهود الدولة، ونجاح المشروعات الزراعية سيكون حافزًا محليًّا لجذب الأفراد للاهتمام بالنشاط الزراعي، وإقامة المشاريع الزراعية، وطلبت المملكة من الولايات المتحدة الأمريكية إعارتها بعض الفنيين في مجال الري، وقد وصل فريق المهندسين برئاسة المستر ديفيد روجرز للعمل في مشروع الخرج، حيث قام بإنشاءات عديدة، وعلى أحدث الطرق في مجاري للصرف والري،

وإدخال أحسن الأساليب الزراعية بمختلف المحصولات والنخيل وغيرها[123]. وفي سنة 1365هـ/1945م بلغ مجموع العاملين بمشروع الخرج الزراعي والنباتي (1452) بين عمال وفنيين[124]، وهذا يدل على كثافة العاملين للمساهمة في إنجاز المشاريع الزراعية، وتوالت عديد من البعثات الأجنبية الأخرى بهدف الدراسة والبحث عن المياه ووسائل تطوير استخراجها.

وفي سنة 1367هـ/1948م صدرت أوامر الملك عبد العزيز بإنشاء مديرية الزراعة كأول جهاز يشرف على تطوير الزراعة، وأول من تولى إدارتها محمد بن صالح قزاز[125]، تحت إشراف وزير المالية عبد الله السليمان، حيث توسعت أكثر في إقراض المزارعين لشراء الآلات الزراعية الحديثة وحفر الآبار الأرتوازية وإنشاء مزارع نموذجية واستيراد بعض أشجار الفواكه والخضروات، وتوزيعها على المزارعين مجانًا، حتى بلغت ميزانية تلك الإدارة عام 1369هـ/1950م أكثر من ثلاثين مليونًا من الريالات، وكانت تتبع المالية[126]. وعندما تشكلت وزارة الداخلية سنة 1370هـ/1950م ألحقت بها مديرية الزراعة[127]، وأسهم أفراد الشعب السعودي إسهامًا فعالًا في تكوين شركات زراعية حظيت بدعم كبير من الحكومة السعودية، ومن أبرزها الشركة الزراعية الخيرية بمدينة الطائف التي تأسست سنة 1348هـ/1929م، وقد تألف النظام الأساسي للشركة الخيرية الزراعية من ست عشرة مادة[128].

كل هذه الجهود الكبيرة للرفع من التوطين الزراعي بالهجر[129] وتوزعت في منطقة نجد والإحساء ومناطق الحجاز، وقد كانت منطقة القصيم في نجد من أكثر المناطق في عدد الهجر التي أنشئت فيها، فكان فيها حوالي 21%من هجر المملكة العربية السعودية[130]؛ ويعود السبب وراء ذلك إلى محاولة تحقيق الهدف الاقتصادي من وراء التوطين الزراعي، فقد تميزت منطقة القصيم بالزراعة، وتربية الماشية والتجارة، وما زالت تشكل أساس الاقتصاد فيها، فالمنطقة واسعة بما فيها الكفاية (61600كيلو متر مربع) ويسكنها 300 ألف نسمة، إلى جانب أنها تعدُّ من أكثر المناطق المحددة للزراعة في المملكة، وأنشئ بها أكبر مشروع للتوطين، وهو مشروع الملك فيصل الاستيطاني[131]. وهذا يدلنا على دقة اختيار مواقع التوطين بالهجر بأنها مواقع تتميز بخصوبة أراضيها وموقعها لتمكين القدرة على الزراعة بعد ذلك.

ثالثاً. أهم مشروعات التنمية للتوطين الزراعي بمناطق التوطين:

1- مشروع الفيصل النموذجي للتوطين (بدأ في 1384هـ/1964م)، ومن خلال هذا المشروع أنشئت مزرعة للتجارب والإرشاد في منطقة البادية مساحتها مائة فدان، وتم إنشاء مركز لتدريب الفنيين السعوديين على زراعة الصحراء واستصلاح ما يقرب من عشرة آلاف فدان في المنطقة نفسها لتوطين عدد من الأسر في البادية[132]؛ ويستهدف المشروع توطين جزء من سكان البادية وتهيئة أبنائها لفرص العمل، وإيجاد الوسائل الإنتاجية، كالأرض ورأس المال والخبرات الفنية والإدارية، كذلك يشترك هذا المشروع مع سائر مشروعات التنمية الزراعية الكبرى في تحقيق

الاكتفاء الذاتي بالنسبة لإنتاج المواد الزراعية، ليتسنى للبلاد الاستغناء التدريجي عن استيراد المواد من الخارج. هذا، ويتكون المشروع من ثلاثة أجزاء، هي[133]:

- إنشاء مزرعة مخصصه لعمل الدراسات والتجارب تبلغ مساحتها مائة فدان.
- إنشاء مركز لتدريب الفنيين السعوديين على الزراعة في الصحراء.
- استصلاح حوالي عشرة آلاف فدان في المنطقة نفسها لتوطين ألف أسرة من سكان البادية.

2- مشروع وادي سرحان شمال غرب البلاد بين الحدود الأردنية والسعودية (بدأ في 1378هـ/ 1958م)، وهو منطقة بدوية عاشت المجاعة في الخمسينيات من هذا القرن وأوائل الستينيات، وقد تم تزويد الجماعات الراغبة في الاستيطان بمضخات المياه وبالإرشادات الفنية، وتحسين أراضي الرعي، وتخزين احتياطات الأعلاف، وغير ذلك من عوامل استقرار البدو، وتوقف هذا المشروع لمدة ثلاث سنوات ثم تم البدء في إعادة النظر إليه على أسس جديدة لاستصلاح 40 ألف هكتار، ومحوره تحسين أراضي الرعي، وتخزين احتياطات من العلف[134].

3- مشروع حوض تبوك، ويهدف إلى توطين الجماعات البدوية في المناطق الشمالية عن طريق تزويد هذه المناطق بالمياه وتأهيل الأفراد والجماعات للعمل بالزراعة؛ مع تحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بإنتاج المواد الزراعية الكبرى. هذا، وقد بلغ عدد المنتفعين بالمشروع حوالي 2400 أسرة، وعدد مضخات الري 130، والمساحة المستفيدة من الري حوالي 950 هكتار، وعدد الآبار التي حفرت حوالي 2300 بئر، كما بلغ عدد الهجر التي يشملها المشروع 734 هجرة[135].

رابعًا. العوامل المساعدة على حل مشكلة الأمن الغذائي بالتوطين الزراعي:

يُشار هنا إلى أن المملكة في أول تأسيسها لم يكن بوسعها أن تتوسع في الإنتاج الزراعي بسبب ندرة المياه، وعدم كفايتها للزراعة التي ستساعد البدو على التوطين في الهجر، ويتعجب الكاتب الفرنسي بنوا ميشان [136] من هذا الأمر، مردِّدًا كلماته القائلة: "أو ليس من الغرابة تأسيس قوة وأمن بلد ما على الزراعة، في حين أن هذا البلد صحراوي في معظم مساحته، ليس من نهر يرويه، ولا يتلقى سوى سبعة سنتميترات من المطر في العام، فالجفاف كان يقف حجر عثرة في طريق ابن سعود، ويشكل عقبة من شأنها أن تحطم إدارته، أمن المعقول تحدي الطبيعة، ومحاولة تحرير المصير الذي قُدِّر للجزيرة العربية منذ آلاف السنين؟ إنه لعمل أشبه بمحاولة وقف سير الشمس"[137].

وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات، إلا أن هناك ثمّة عوامل ساعدت في حل هذه المشكلة، ومنها:

أ. إيمان الملك عبد العزيز بتأسيس الهجر بأنها ستكون دافعًا له لتأسيس مجتمع يستند إليه العمل الزراعي، وما يعكسه من حدوث الاستقرار، والقضاء على الفوضى وعدم الاستقرار بالبحث عن الغذاء، في هذا السياق يقول: "إنني أريد تطوير نزعة العرب الفطرية إلى الحرب، حتى يشعروا بأنهم

أعضاء في جماعة واحدة، إنه عمل شاق، ولا أنكر ذلك، ولكن الجانب الكبير منه سيتحقق عندما تبدأ وحدات جيشي تشعر أن الهجر التي أنشئت هي بمثابة وطن صغير وسط الوطن الكبير القاحل"[138].

ب. الانتقال التدريجي من حرفة الرعي إلى حرفة الزراعة، وتقبل القبائل لفكرة العمل بهذه الحرفة، فمرونة القرار الذي أصدره الملك عبد العزيز في السماح لكل قبيلة أن تبقي قسمًا من أفرادها يعملون بالرعي في الصحراء، والنصف الآخر يعملون بالزراعة في الهجر، برزت معه حرفة جديدة متمثلة بالحرفة الزراعية الرعوية، إذ يمارس الأهالي حرفة الزراعة معظم أيام السنة ما عدا الشتاء، فيخرجون فيه إلى المراعي بمواشيهم[139].

ج. دعم الدولة وتشجيعها على الزراعة بين الهجر، وذلك بتوزيع البذور لهم في الموسم الأول الزراعي، حتى غدت تلك الهجر عاملة بالحرفة الزراعية، بل ومنتجة لثمار التمر والقمح، وقد أسهموا في تقديم جزء من ثمارهم لسد احتياجات بعض السكان وهو ما يعرف بالبروة[140]. وفي سنة 1362هـ/1943م وزعت 4000 من البذور مع 2500 دابة على المزارعين، ومن الملحوظ بروز الحكمة حينما أمر الملك المزارعين بأن يوزعوا كل ما يتسلمونه من قروض وهبات في أوجهه المشروعة، بل إنه طالب التجار بالرفق بالمدينين، وعدم استغلال حاجاتهم بالرهن حتى يستوفي سدادهم[141].

د. الموقع المناسب للهجر وما يتميز به من التربة الطمية التي تميزت بها مواقع الهجر، والتي تُعدُّ من أفضل الترب في الإنتاج الزراعي، لذلك نجد أن أغلب هذه الهجر تتركز في منطقة الشمال الأوسط من المملكة العربية السعودية كمنطقة توطين زراعي؛ فمن أبرز الخصائص الطبيعية لها هي: وادي الرمة الكبير، الذي يقطع المنطقة كلها من الغرب إلى الشرق؛ لذا فإن أغلب الهجر تقع على وادي الرمة وبالقرب منه، فكانت القصيم أحد مراكز التوطين الزراعي، وهناك عدد قليل من السكان يعتمدون بشكل مباشر على الزراعة، ففي بريدة، وعنيزة، والرس؛ يشتغل حوالي ثلث السكان بالزراعة[142].

هـ. الاهتمام والعناية الخاصة والمتابعة المباشرة من الملك عبد العزيز بالهجر، فقد كلف الفلاحين المستقرين بالواحات بتدريب البدو على الزراعة واستصلاح الأراضي، وإنشاء شبكات الري، ومنح كل جماعة من أهل الهجر بئرًا ينزلون عليها، وكان يساعدهم بمساعدات مالية للنهوض بالعمل الزراعي فيه[143]. فعلى سبيل المثال: سخر الملك عبد العزيز لهجرة الأرطاوية رعايته، فنراه حين وصل أول فوج للأرطاوية قدم لهم المال والحبوب بدعوتهم في حقل صغير، فكان ذلك دافعًا

لنجاح التوطين الزراعي، واستمرار تدفق القبائل إليه، فكان بذلك بداية لحل مشكلة هاجس الأمن الغذائي لدى الملك عبد العزيز(144).

و. حفر الآبار في الهجر لتوفير المياه والعمل على التقليل من النزاعات حول موارد المياه، وتشجيع القبائل المتنقلة بالبقاء في أماكنها مادامت المياه متوافرة بها؛ حتى أصبح البدو لا يفكرون في الغزو؛ بل أصبح تفكيرهم محصورًا في حرث الأرض ورعايتها(145).

الخاتمة:

عرضنا بشكل موجز لفكرة الملك عبد العزيز وتصوّره في تطوير البادية، وتنمية القطاع البدوي من السكان، ومحاولة توطينهم الزراعي، وحل مشكلة الأمن الغذائي، والاهتمام بالموارد الطبيعية للبادية، وذلك عن طريق استكشافها وتقدير إمكاناتها، وإعانة أهلها لينموها؛ وأن توطينهم الزراعي يعني نقلهم من طور الرعي إلى طور الزراعة، والاستقرار بدلًا من الارتحال، وقد تحقق النجاح لهذا المشروع الكبير، فالمملكة اليوم قد نجحت في تطوير القطاع الزراعي، وحققت الاكتفاء الذاتي في عدد من الحاصلات الزراعية، والمواد الغذائية الأساسية. هذا، وبعد عرض موضوع الدراسة الحالية المعنون بالتوطين الزراعي وحلّ مشكلة الأمن الغذائي في عهد الملك عبد العزيز (1348-1330هـ/1912-1930م)؛ توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

1- نقل المجتمع إلى تنظيم وظيفي يقوم على لمّ الشتات، وتوحيد الجهود والموارد، وذلك للاستفادة من الطاقات المهدرة والجهود المبعثرة؛ ليشهد ذلك المجتمع تنمية شاملة تُعَدُّ بحق من معجزات التاريخ.

2- نهجَ المؤسِّسُ إستراتيجية تحويلية تمثلت في مشروع غير مسبوق، وهو مشروع توطين البادية، وقد كانت أهداف ذلك المشروع متنوعة؛ منها ما هو سياسي، وآخر عسكري، وثالث اجتماعي.

3- حدثت عملية الذوبان الاجتماعي كما عرَّفها بعض العلماء السياسيين في المملكة العربية السعودية، وتحوّل مجتمع الجزيرة العربية من حالته السابقة، حيث الفُرقة والارتباك، إلى الشعب المستقر، الآمن والمتماسك.

4- كانت عملية التوطين الزراعي للبدو وجمعهم في وحدات زراعية؛ من أهم الوسائل التي أضعفت النزعة القبلية عند البدو، حيث لم تَعُد السلطة الفعلية على القبائل بيد شيوخها، بل انتقلت إلى الحكومة المركزية في الرياض، واستطاعت عملية التوطين وما رافقها من تثقيف للبدو أن تكسر الإطار التقليدي للقبيلة؛ لأنها وضعت حدًّا للبداوة، وجمعت البدو حول موارد الماء لتحقيق الهدف الاقتصادي والاجتماعي من وراء ذلك.

5- أنَّ عملية التوطين عملية اقتصادية، فالنتائج الخاصة بالهجرة الاقتصادية تُعدُّ ثروة وطنية، وحين أقيمت التجربة الكبرى بالأرطاوية كان الملك عبد العزيز يرى تعليم سكانها الزراعة ابتداءً ثم الرعي،

فكانت عملية تنمية العمالة الوطنية وزيادتها، نتيجة لما تتطلبه من إقامة مرافق إنتاجية، ومدّ الهجر بوسائل الإنتاج.

6- التغيير الجذري في نمط المعيشة وفي الحالة الاقتصادية، وأنّ هذا التغيير قد غيَّر الحياة المعيشية للقبائل، وأدَّى إلى الحرص على الانتفاع بالمياه الجوفية للري والتنمية، وهذا ما عمل عليه الملك عبد العزيز من التركيز على المياه ومصادرها.

التوصيات:

-إجراء التجارب والبحوث حول زيادة التنمية ودفع معدلاتها، كما حدث في تحويل هجرة الخرج إلى مزرعة نموذجية، حينئذٍ تحولت الهجر إلى ما يشبه المدارس المهنية، ومراكز التدريب للسكان من أبناء الهجر، مع تحويلهم إلى قوة اقتصادية منتجة ونشطة اقتصاديًّا في بلد صحراوي.

-السير على خطى سياسة الملك عبد العزيز في التوطين الزراعي لتحقيق الأمن الغذائي والاستدامة في التوطين الزراعي لبعض المنتوجات الزراعية، في بعض المناطق بالمملكة والواقعة على الأودية الكبيرة كوادي السهباء، ووادي حنيفة، ووادي الرمة.

-تؤكد الدراسة على أهمية الإدارة المستدامة للموارد الطبيعية والزراعة والقضاء على الأنماط غير المستدامة لاستهلاك وإنتاج الغذاء، وكيف يمكن التركيز على الأبعاد الأساسية للأمن الغذائي وتحقيق الاكتفاء الذاتي في الغذاء.

هذا مجرد نموذج من حقائق عديدة تُثبت نجاح سياسة التوطين الزراعي، وتنمية البادية، وحلّ مشكلة الأمن الغذائي في المملكة فترة الحرب العالمية الأولى، وهي السياسة التي رسم خطوطها الأساسية وبدأ تنفيذها جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله.

الملاحق

ملحق (ا)

أوردت إحصاءات مختلفة للهجرة القديمة، وهنا نورد مثالًا لها كما ذكرها عبد العزيز الأحيدب على النحو الآتي:

القبيلة	اسم الهجرة	القبيلة	اسم الهجرة
-مطير	الأرطاوية	آل مرة	أبيرق
	قرية السفلي		البدع
	الأثلة		السكك
			يبرين
	الثامرية	سبيع	البدع
	الجعلة		الحسى
	الحسو		الأخضر
	الشلفحية		الروضة
	ضرية		الضبيعة
	العمار		المشاش
	الفروثي	العوازم	حميان
	اللصافة		عنيق
	مبايض		الحيسى
	مسكة		ثاج
	المطيوي	الرشائدة	حليفة العليا
	مليح		ضربوط
	وضاخ		الروض
حرب	البدع		العماير
	أم حزم		المرير
	الرود		النبوان
	البصيري	عنزة	بيضا نثيل
	البعايث		البلازية

	البقعا		الشعيبة الأولى
	بقيعة		الشعبية الثانية
	أبو مغيرة		الشملي
	ثادق		الفيضة
	الجرداوية	بنو هاجر	عين دار
	حليفة السفلى		فوده
	حنيط		يكرب
	الخشيبي	شمر	الأجفر
	خصيبة		أم القلبان
	الداث		التيم
	دخنة		جبة
	الساقية		الحفير
	الشبيكة		الشعيبي
	الصمعورية		الشقيق
	عقلة الصقور		الصفرا
	غسل		الصنينا
	الرفوارة		الظفير
	الفيضة		العقلة
	قبة		الفيضة
	القرارة		القصير
	القرين		المكحول
	قطن		النعي
	الكهفة		الوقبا
	المحلاني		الأجفر
	النحيتية	عتيبة	النمرية
			بو جلال
العجمان	أم ربيعة		حميان
	البرة		

	الدليما		الحيد
	حنية		الداهنة
	الزغين		الروضة
	الصحاف		الحفيرة
	الصرار		ساجر
	عريعرة		سنام
	عوينة كنهر		شبيرمة
	غنوة		الصوح
	القرادى		عرجة
	قطان		عسيلة
	الهليسية		الغطغط
	الونان		القرارة
			القرين
			كبشان
			مصدة
			نفي
قحطان	الجفير		
	الحصاة السفلى		
	الحصاة العليا		
	حليفة العليا		
	الرين العليا		
	صبحا		
	طيبسم		
	لبن		
	المنصيف		
	الهياثم		

حواشي البحث:

• أستاذ مشارك، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

(1) عملية تغيير اجتماعي واقتصادي موجَّه، تهدف إلى حث البدو على الاستقرار في حدود مكانية معينة ومساعدتهم على استغلال جميع الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة؛ لرفع مستوى معيشتهم مع التركيز على توطينهم في الأودية التي تتوافر فيها ظروف الزراعة كخصوبة التربة ووفرة المياه. بهدف تنمية الموارد البشرية والاقتصادية، ورفع المستوى الاقتصادي، وقد تم تنمية الهجر عن طريق وضع مشاريع تقوم على الزراعة المختلطة التي تجمع بين الزراعة والرعي في وقت واحد. فيصل بشير: البدو في المملكة بين التوطين واللاتوطين" صحيفة الجزيرة، العدد 2897، 1400هـ/1980م.

(2) الريحاني، أمين، *تاريخ نجد الحديث وملحقاته*، ط1، (بيروت: المطبعة العلمية ليوسف صادر،1346هـ/ 1928م)، ص236. كانت فترة حروب توحيد الملك عبد العزيز التي وقعت بين عامي 1331-1344هـ/1913-1925م، وكان للإخوان –وهم سكان الهجر– دور كبير فيها، ولهذا يقول الملك عبد العزيز عن سهولة الاستفادة من سكان الهجر في الحروب: "يجيئوننا البدو في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال. ولكنهم في أيام الحرب لا يطلبون منا شيئًا، وفي أيام الحرب يتمنطق الواحد منهم ببيت الخرطوش ويبادر إلى البندقية ثم يركب الذلول إلى الحروب ومعه شيء من المال والتمر القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا"؛ انظر: الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ص264.

(3) حمزة، فؤاد، *قلب جزيرة العرب*، ط2، (مصر: مكتبة النصر الحديثة، 1388هـ-1968م)، ص86.

(4) بكدي، فاطمة، ورابح باشا، *الأمن الغذائي والتنمية المستدامة*، ط1 (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي1437هـ/ 2016)، ص34.

(5) البدو: نمط حياة قائم على رعي الحيوان، ظهر كردٍّ فعل طبيعي لمحاولة الإنسان التكييف مع موارد البيئة الطبيعية والمحيطة به يعتمد على التنقل والترحال الدائم وراء الماء والكلأ. (توطين البدو في المملكة العربية السعودية دراسة اجتماعية لهجر، الغطط، سلوى عبدالحميد الخطيب، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الرياض، 1401هـ/1981م،ص17؛ الحضر هم من سكنوا القرى والمدن، وعملوا بالزراعة والتجارة، وتتسم حياتهم بالاستقرار، وامتهنوا حرفة الزراعة والتجارة. للمزيد انظر: حسن الساعاتي: البدو والحضر عند ابن خلدون، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، الجزائر، 1404هـ-1983م.

(6) النمري، خلف، *اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز*، (مجلة دارة الملك عبد العزيز، ع4، س25، 1420هـ/2000م)، ص6.

(7) الفاروق، عمر، *دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية*، (جدة: دار الشروق، 1398هـ/1978م)، ص16 وما بعدها.

(8) الخريجي، عبد الله، *توطين البدو في المجتمع العربي السعودي، المملكة العربية السعودية في مائة عام بحوث ودراسات*، ط1، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز1428هـ/2007م)، ص25.

(9) حسن، محمد، *رؤية المستشرق الأمريكي تويتشيل لسيرة الملك عبد العزيز وأعماله، مع مقارنتها برؤية المصادر العربية*، (الرياض: بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، 1419هـ/1999م)، ص18.

(10) الجميل، مكي، *التوطين والوحدة القومية، المؤتمر التاسع للشؤون الاجتماعية والعمل، "رعاية البدو: تحضيرهم وتوطينهم*، ج2، (القدس: (1385 هـ/1965م)، ص467.

(11) الهجر: قرية صغيرة ذات بيوت من اللَّبِن يسكنها البدو الرحل حيث يشتغلون بالزراعة والتجارة، وبهذه الصورة يصبحون أصحاب أملاك ثابتة تميل إلى الاستقرار وارتباطها بما تنتجه، ويتحضرون وتنقطع عنهم البداوة، وسميت المنازل بالهجر لارتباطها الديني والاجتماعي والحضاري بمفهوم الانتقال من حال إلى حال آخر. انظر: بدوي، حسين، *الزراعة الحديثة بالمملكة العربية السعودية*، ط1، (القاهرة: مطبعة مصر1364هـ/ 1945م)، ص115-118.

(12) Fouad Al Farsy, *Saudi Arabia. A Case Study in Development*, London: Routledge, 1982, p.39.

(13) التوطين: عملية إنشائية متكاملة تتضمن إحداث تغير في الظروف الطبيعية والحضارية القائمة بهدف تنمية الموارد البشرية والاقتصادية ورفع المستوى الاجتماعي وتحقيق التكامل القومي عن طريق إدماج المجموعات البدوية ذات الحضارة الرعوية التقليدية بصورة جماعية في الوحدة السياسية والقانونية والاقتصادية والفكرية للمجتمع القومي. انظر: صابر، محيي الدين، ولويس كامل مليكة، *البدو والبداوة: مفاهيم ومناهج*، (القاهرة: مركز تنمية المجتمع، 1386هـ/ 1966م)، ص42.

(14) صادق، دولت أحمد، *الاقتصاد البدوي التقليدي كعامل من عوامل البداوة*، ج2، (القدس: مؤتمر رعاية البدو وتوطينهم، الذي نظمته إدارة الشؤون الاجتماعية والعمل بالجامعة العربية، المؤتمر التاسع للشؤون الاجتماعية والعمل، 1385-1965م)، ص375-408.

(15) موضي بنت منصور، الهجر ونتائجها ي عصر الملك عبد العزيز، ط1، (بيروت-لبنان: دار الساقي،1413هـ-1993م، ص80.

(16) النمري: اقتصاديات النشاط الزراعي، ص10.

(17) الصالح، عثمان، *جوانب من عبقرية الملك عبد العزيز*، (الرياض: المؤتمر العلمي عن تاريخ الملك عبد العزيز-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ/1985م)، ص20.

(18) التركي، عبد الله بن عبد المحسن، *الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية المنهج القويم في الفكر والعمل*، ص9.

(19) الراوي، عبد الجبار، البادية، ط1، (بغداد: 1366هـ/1948.)، ص44.

(20) الخرج: إحدى مقاطعات نجد المشهورة بخصوبة التربة وجودة المناخ، وغزارة المياه، وتقع في الجنوب الشرقي من العارض في وادي حنيفة تمتد هذه المنطقة من الضفة اليمنى لوادي حنيفة قرب الرياض، وتبعد عن الرياض 80 كم. وأشهر المواقع بها المنفوحة، السلمية، اليمامة، نعمان، البدع، فرزان، الضبعية. (أحمد عبد الغفور عطار، الخرج والشرائع، 1365هـ/1946م، مطبعة الريالة، ص29-33).

(21) وادي حنيفة: يقع على أرض يصل طولها 80 كم ممتدًا إلى حافة طويق التي تمثل الحدود الشمالية للوادي مخترقًا الجزء الأوسط من هضبة نجد إلى الحاير جنوبًا، ويتراوح عمق مجراه بين 10م و100م،كما يتراوح عرضه بين 100م وما يقرب من 1000م كأقصى اتساع، ويقع في الجزء يلتقي مع شعيب العقيمي في منطقة الخرج، وهو وادي تاريخي مشهور يبدأ من منحدرات جبل طويق الغربية الشمالية فيشق مجراه قلب العارض ثم يلتقي بشعيب العقيمي، فيكوِّن الاثنان مع فروعها وادي السهباء. للمزيد، انظر مشروع الخرج الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، عبد العزيز بن ناصر البراك، ص29؛ عبد الله الراشد، مطابع الفرزدق، الرياض، 1419هـ/1999م.

(22) شعيب العقيمي، ويقصد به شعيب عجيمي: تصب فيه فروع عديدة، وهي التي تنحدر من المنطقة الجبلية غرب الخرج، ومن أهم هذه الفروع: شعيب العين، وشعيب نساح، اللذان يصبان في شعيب العقيمي شمال الدلم. عبد العزيز بن ناصر البراك: مشروع الخرج الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، ص 28، عبد العزيز، موضي بنت منصور، *الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز*، ط1، (بيروت–لبنان: دار الساقي1413هـ/ 1993م)، ص94.

(23) الصالح، عثمان، *جوانب من عبقرية الملك عبد العزيز*، ص12–17.

(24) موضي بنت منصور، الهجر، ص90.

(25) المختار، صلاح الدين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مج2، (بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت) مج2، ص294.

(26) رويلي تتركز القبيلة في منطقة الجوف في وادي السرحان في شمال شبه الجزيرة العربية، وزعامة القبيلة مع آل الشعلان، وعرف زعيمهم آنذاك بالشيخ فرحان بن مشهور الشعلان، توفي سنة1354هـ/1935م. للمزيد انظر قبيلة الرولة في التاريخ، فائز الرويلي، الدار العربية للموسوعات1436هـ/2015م.

(27) أبو علية، عبدالفتاح، *الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز*، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1396هـ/ 1796م)، ص146.

(28) فاروق، مصطفى إسماعيل، *التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي، دراسة أنثروبولوجية في منطقة امتداد مريوط*، (الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1365هـ/ 1975م).

(29) الصالح، عثمان، *جوانب من عبقرية الملك عبد العزيز*، ص17–21.

(30) الخريجي، عبد الله، *توطين البدو في المجتمع العربي السعودي، المملكة العربية السعودية في مائة عام، بحوث ودراسات*، 12ط1، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز1428هـ/2007م)، ص327.

(31) العفنان، سعد خلف، *الزراعة والمياه في المملكة العربية السعودية*، ط1، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1433هـ/2012م)، ص10.

(32) توطين البادية: عملية نقل مجموعات القبائل والعشائر من طور حياة البداوة؛ من العيش المتنقل في البوادي والقفار إلى طور حياة الحضارة، حيث العيش المستقر في الحواضر والمدن الآهلة، انظر: الجاسم، محمد علي، *توطين البادية في المملكة العربية السعودية*، (المملكة العربية السعودية: مجلة العرب، 12جمادى الثانية 1394هـ–2 يوليو 1974م، ص879.

(33) الريحاني، أمين، *تاريخ نجد الحديث*، ص2361، والتركي، عبد الله بن عبد المحسن، *الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية*، ص13.

(34) الخريجي، عبد الله، *توطين البدو في المجتمع العربي السعودي*، ص339.

(35) الأرطاوية: تبعد عن الرياض من جهة الشمال نحو 250كيلًا، ويخترقها واديان كبيران، هما: الأرطاوي وأبو فقارة، وتنسب إلى شجيرات الأرطي الصغيرة التي تقتات منها الأبل. للاستزادة انظر: ابن خميس، عبد لله بن محمد، *المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية، معجم اليمامة*، ط1 (مطابع الفرزدق: 1398هـ/1978م)، ج1، ص96–97، والماضي، عبد الله بن عبد المحسن، *ذاكرة الزمان*؛ ط11، (الرياض: 1428هـ/2007م)، ص29.

(36) العريمات: فخذ من قبيلة حرب يسكنون في الأرطاوية مع مطير، ويشتغلون صناع عندهم يصنعون حدوات الجياد والسلاح والأدوات الزراعية. الزركلي، شبة الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص268.

(37) سعيد بن مثيب العلوي الحربي قائدًا للخيالة من حرب، شارك في العديد من الحملات مع الملك عبد العزيز ضد الشريف حسين، وترأس فرقة الخيالة للمعسكر الزاحف على جدة. الحقيل، عبد الله حمد، ظاهرة *توطين البادية*، (مجلة الدارة: السنة الحادية عشرة، محرم 1406-سبتمبر1985م)، ص120.

(38) ابن ناصر، عبدالرحمن بن محمد، *مخطوطة: "السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد"*، (رقم المخطوطة 176، دارة الملك عبد العزيز)، الورقة 115.

(39) فيصل بن سلطان بن فيصل الدويش من قبيلة مطير، يتميز بالقوة والدهاء والشراسة، تولى زعامة قبيلة مطير بعد وفاة أبيه، توفي سنة 1349هـ/1930م في سجن الأحساء بعد مناوشات وعصيان ضد الملك عبد العزيز، انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: *قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، ط15، (بيروت: دار العلم للملايين، 14222هـ/2002م، ج5)، ص116.

(40) الدبدبة: سهول حصوية في الجزيرة العربية، تقع شمال الصمان وفي الشمال الشرقي من المملكة وجنوب العراق، تمتد على هيئة مثلث، قمته تبدأ من مدينة القيصومة، ويخترقها وادي الباطن من الجنوب متجهًا إلى الشمال الشرقي حتى يصب في الخليج العربي. https://ar.wikipedia.org/wiki.

(41) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جمادى الأولى 1397هـ، أبريل 1977م، ج1، ص483-484.

(42) ج، ج. لوريمر، *دليل الخليج، القسم التاريخي والقسم الجغرافي*، (الدوحة، قطر، مطابع علي بن علي، ترجمة: الديوان الأميري)، ج1، ص2576.

(43) الصالح، عثمان، *جوانب من عبقرية الملك عبد العزيز*، ص27.

(44) الدلم: محافظة تتبع منطقة الرياض، تبعد عن محافظة الخرج 10كلم جنوب غرب الرياض بحوالي 85 كلم." المقام السامي يوافق على تحويل الدلم إلى محافظة 13جمادى الآخرة 1438هـ- 11مارس 2017م/15-10-1442هـ/ 26-5-2021م صحيفة الرياض)؛ شقراء:إحدى محافظات منطقة الرياض وسط المملكة، تقع شمال غرب الرياض، وتبعد عنها 180كلم، تحدها شمالًا محافظتا المجمعة والغاط ومنطقة القصيم، ومن الشرق ثادق، وجنوبًا محافظة مرات، وغربًا محافظة الدوادمي. تبلغ مساحتها 4110كلم. هيئة المساحة الجيولوجية sas.gov.sa))؛ ساجر: ثاني أكبر مدينة في محافظة الدوادمي من حيث السكان، تقع غرب نفوذ السر عالية نجد، وتعد من هجر الإخوان، ومن مستوطنات قبيلة عتيبة، وأول من نزل هجرة ساجر من الإخوان، هما: الخناتيش، وذوو صقر من الحفاة من طلحة من الروقة من قبيلة عتيبة. ar.wikipedia.org بنوا ميشان، عبد العزيز آل سعود، *سيرة بطل ومولد مملكة، نقله للعربية: عبد الفتاح ياسين*، (دار الكتاب العربي، 1385هـ/1965م)، ص126.

(45) المختار، صلاح الدين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، ج2، ص144.

(46) الغطغط: من ديار قبيلة عتيبة، تمتد من الطائف شرقًا إلى أراضي الوشم والقصيم في نجد، وتبعد عن مدينة الرياض نحو 69 ميلًا، انظر: ابن خميس، *معجم المملكة*، ص225.

(47) بنو ميشان، عبد العزيز آل سعود، ص125.

(48) الخريجي، عبد الله، *السياسة الاجتماعية للملك عبد العزيز في توطين البدو*، ص13-16.

(49) الدخيل، سليمان، *مجلة لغة العرب*، عدد 2جمادى الآخرة عام 1331هـ/1923م، ص3.

(50) كحالة، عمر رضا، *جغرافية جزيرة العرب*، ص232 وما بعدها.

(51) التميمي، عبد الله محمد، *التأثيرات الاجتماعية لتوطين البدو بمدينة الرياض*، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1411هـ/1991م)، ص50.

(52) السلمان، محمد عبد الله، *قيام المملكة العربية السعودية وبدايات نهضتها الحضارية*، ط31، (الدمام: نادي المنطقة الشرقية، 1420هـ/1999م)، ص94.

(53) أبو علية، عبد الفتاح، *الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب*، (الرياض: مجلة الدارة، ع1، ربيع الأول 1395هـ، مارس 1975م)، ص116.

(54) حمزة، فؤاد، *المصدر نفسه*، ص102.

(55) الشامخ، أحمد عبد الرحمن، ترجمة: عبد الإله أبو عياش، *توطين البدو في المملكة العربية السعودية "الهجر"* (جامعة الكويت: الجمعية الجغرافية الكويتية، ربيع الآخر 1399هـ/ مارس 1979)، ص 25-27.

(56) الريحاني، أمين، *تاريخ نجد*، ط1، ص261.

(57) انظر: *الجدول لتوزيع إحصاء الهجر القديمة*، ملحق رقم 1.

(58) أبو علية، عبد الفتاح، الجذور الأولى لمشروعات التوطين، ص116.

(59) المصدر نفسه والصفحة.

(60) الريحاني، أمين، *تاريخ نجد*، ص262.

(61) أبو علية، عبد الفتاح، *الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو*، ص116.

(62) الجاسم، محمد علي، *توطين البادية في المملكة العربية السعودية*، (مجلة العرب، ج11-12، السنة 8، جمادى الأولى 1394هـ/حزيران 1974م)، ص878.

(63) السلمان، محمد عبد الله، *قيام المملكة العربية السعودية وبدايات نهضتها الحضارية*، ط1، (الدمام: النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية، 1420هـ/1999م)، ص95.

(64) بنوا ميشان، *عبد العزيز آل سعود*، ص118.

(65) Maddex ,R. L., *The Constitutions of the World*, Washington D,C.: CQ Press, 2008, pp.68,69

(66) بنوا ميشان، *عبد العزيز آل سعود*، ص121.

(67) الزامل، عبد الله العلي، *الملحمة الشعبية في تأسيس الملك عبد العزيز للمملكة العربية السعودية*، ط1، (بيروت: 1392هـ)، ص1.

(68) السلطان، عبد الله عبد المحسن، *الاستيطان في المملكة العربية السعودية*، (المدينة المنورة: بحوث المؤتمر الثامن للبلديات والمجمعات القروية 1406هـ/1986م)، ص445-447.

(69) صادق، دولت أحمد، *الاقتصاد البدوي التقليدي كعامل من عوامل البداوة*، ص375-408.

(70) لطفي، طلعت إبراهيم، *أثر مشروع الري والصرف على منطقة الأحساء*، (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، 1407هـ/1987م، ص170.

(71) Brown, G.F. & Bramkamp, R., "Ground Water in the Nejd, Saudi Arabia", *Transaction of the New York Academy of Science*, 10/7, Series II, 1948, pp.236-237.

(72) Rentz, G.S., *The Birth of the Islamic Reform Movement in Saudi Arabia: Muḥammad b. ʿAbd al-Wahhāb (1703/4–1792) and the Beginnings of Unitarian Empire in Arabia* (London: Arabian Publishing, 2004), p.3.

(73) الصالح، عثمان، *جوانب من عبقرية الملك عبد العزيز*، ص5-6.

(74) Rentz, *The Birth of the Islamic Reform*, p.3.

(75) التميمي، عبد الله، *التأثيرات الاجتماعية لتوطين البدو بمدينة الرياض*، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الاجتماعية، 1411هـ /1991م)، ص29.

(76) أبو علية، عبد الفتاح، *الإصلاح الاجتماعي*، ص133.

(77) وهبة، حافظ، *جزيرة العرب في القرن العشرين*، القاهرة ، مطبعة البابي الحلبي، 1380هـ\1960م، ص285.

(78) الشرع، حسين، *التطور الاقتصادي في المملكة العربية السعودية ومستقبل التنمية*، ط1، (دار العلوم، 1403هـ/ 1983م)، ص13.

(79) بنوا ميشان، *عبد العزيز آل سعود*، ص121.

(80) وادي فاطمة: مجرى مائي موسمي، يقع داخل حدود منطقة مكة المكرمة غرب المملكة، ويمتد بطول 120كلم داخل حدود منطقة مكة المكرمة، ويعبر محافظات الطائف والجموم وجدة، وتم بناء هذا السد عام 1405هـ/1985م، يُعرف باسم سد وادي فاطمة. هيئة المساحة الجيولوجية السعودية sas.org.sa).

(81) الخريجي، عبد الله، *توطين البدو في المجتمع العربي السعودي*، ص330.

(82) ولد عام 22صفر1328هـ/ 4 مارس1910م وتوفي 16ربيع الآخر1409هـ/26نوفمبر 1988م. الابن الرابع للملك عبد العزيز. وكان مستشارًا للملك فيصل والملك خالد، وشارك مع والده لتوحيد المناطق، مثل: عسير، وجازان، والمدينة المنورة. وظل فترة طويلة أميرًا على منطقة المدينة المنورة. ar.wikipedia.org).

(83) عباس حمزة قمقجي، *من أعلام المدينة المنورة، ولد بالمدينة عام 1282هـ/1865م*، وتلقى العلوم في حلقات المسجد النبوي الشريف.

(84) صالح شقلبها، *من أعلام المدينة المنورة، ومن رؤساء البلديات في عهد الأشراف وفي العهد السعودي*. علي حافظ، *فصول من تاريخ المدينة المنورة*، ط3، (جامع الكتب الإسلامية، 1417هـ/1996م، مج1)، ص401.

(85) "المدينة المنورة لجنة زراعية"، (صحيفة أم القرى، ع252، س6، 1348هـ/1929م)، ص2.

(86) لم أجد له تعريفًا في المصادر التي بين يدي.

(87) وادي العقيق يعد من أشهر أودية المدينة لتجمع مياهه في منطقة البقيع التي تبعد عن المدينة أكثر من 100كلم جنوبًا، ويسير إلى مشارف المدينة حتى يصل إلى جبل عير، ويسمى هذا الجزء من العقيق الأقصى، وبها مزارع خصبة تغطيها أشجار النخيل وشتلات الخضروات والفواكه. للمزيد، انظر: محمد فضيل بورويه، " الخصائص الجيومورفولوجية لحوض وادي العقيق بمنطقة المدينة المنورة، المنهل، ص1-6.

(88) وثيقة رقم 141، قرار مجلس الشورى بشأن انتخاب هيئة الزراعة (معهد الإدارة العامة، بتاريخ 1363/7/30هـ-1944/7/20م).

(89) وثيقة رقم 17، *موافقة مجلس الشورى على طلب مزارعي المدينة المنورة، إعفاء أدواتهم الزراعية من الرسوم الجمركية*، (معهد الإدارة العامة، بتاريخ 1346/3/28هـ-1972/9/24م)؛ وثيقة رقم 280، *موافقة المكتب الخاص بشأن*

اقتراح محمد صالح نصيف بمساعدة أهالي المدينة المنورة، (معهد الإدارة العامة بتاريخ 1346/5/21هـ-1925/11/10م.

(90) دارة الملك عبد العزيز، *مجموعة الوثائق الألمانية*، وثيقة رقم: 1349، بخصوص رسوم الجمارك حسب التعليمات الصادرة من الملك عبد العزيز، بتاريخ1347/6/14هـ- 1928/11/27م.

(91) عثمان، مصطفى نوري، *الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية*، ط1، (جدة: مطابع تهامة، 1404هـ/ 1983م)، ص118.

(92) تقع جنوب بريدة في الجزء الأوسط الشرقي من منطقة القصيم على حافة وادي الرمة. موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية 24سبتمبر 2016م موقع واي باك مشين.

(93) المسلم، إبراهيم، *القصيم والتطور الحضاري*، (بريدة، مكتبة الطلبة الحديثة، 1408هـ-1988م) ص106.

(94) عثمان، مصطفى *نوري، الماء ومسيرة التنمية*، ص119.

(95) الجنيه الإسترليني أو الجنية الإنجليزي الذهبي من العملات المستخدمة، وكانت قيمته النقدية معترفًا بها رسميًا، بعد معادلته بأسعار العملات المتداولة في البلاد آنذاك. محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية، د.ط، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ/1995م، ص61.

(96) وثيقة رقم 27/5/7/39 *أمر ملكي بتاريخ 1350/8/20هـ -1931/12/30م بإعادة تشكيل الهيئة الزراعية مرة أخرى* (معهد الإدارة العامة، عام 1350هـ/1931م).

(97) انظر: *الزراعة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود*: ص67-73.

(98) وثيقة رقم 2765، *تقرير س. ر. كرين بواسطة ك.س. تويتشيل إلى الملك عبد العزيز عن رحلته ودراسته للمناطق التي زارها بالمملكة سنة1349هـ/1930م*، (دارة الملك عبد العزيز، مجموعة الوثائق الألمانية)، ص2.

(99) *الإصلاحات في نجد*، (أم القرى، ع 28، س6، 1348هـ/1930م)، ص2.

(100) *وثيقة" أمر ملكي بشأن طلب المستر تويتشل منحه امتياز استثمار المعادن والزيت في الجانب الغربي من البلاد"*، رقم الوثيقة 30/2/11-تاريخ 1352/1/23هـ-1933/5/17م، *الديوان الملكي*، (الرياض: معهد الإدارة العامة).

(101) الزركلي، خير الدين، *شبه الجزيرة*، ج1، ص951.

(102) *" في سبيل تنشيط الزراعة"* ؛ (صحيفة أم القرى، ع164، س4، 1346هـ/1927م)، ص3.

(103) السبيعي، عبد الله ناصر، *اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية،1352-1380هـ/1933-1960م*، ط2، (1989/1409م). ص71.

(104) السبيعي، عبد الله ناصر، *اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية*، مرجع سابق، ص71.

(105) صحيفة أم القرى، 3-صفر-1350هـ/19-يونيو-1931م.

(106) عبد الله السليمان الحمدان: ولد بمدينة عنيزة سنة 1302هـ/1818م، تولى وزارة المالية للملك عبد العزيز. للمزيد انظر: الرويشد، عبدالرحمن سليمان، عبد الله السليمان الحمدان، *صفحة مشرقة في تاريخ المملكة العربية السعودية 1302-1385هـ/1885-1965م*، ط1، (1421هـ)، ص15-17.

(107) *"تنشيط الزراعة"*، (صوت الحجاز، ع5، س1351،1هـ/1932م)، ص4.

(108) وثيقة رقم 2039، *مرسلة من حمد السليمان إلى إبراهيم النشمي للاطمئنان عن حالة المكائن الزراعية*، (دارة الملك عبد العزيز، مجموعة الوثائق المحلية، تاريخها 1358/11/24هـ-1940/1/4م).

(109) بنوا ميشان، *ولادة مملكة*، ص437.

(110) وادي السهباء: هو أحد أودية شبه الجزيرة العربية، ويبدأ من جبال طويق، ويقع بين منطقة الرياض والمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، يبلغ طوله 380كلم، من أهم روافده وادي حنيفة، وادي نساح، وادي الرغيب. هيئة المساحة الجيولوجية السعودية-حقائق وأرقام، ص62.

(111) انظر: صحيفة *أم القرى*، عدد (727) في 15 شعبان 1358هـ/29سبتمبر 1939م).

(112) وثيقة رقم 85، *قرار مجلس الوكلاء بتأجيل تأسيس إدارة تعنى بالشؤون الزراعية*، (معهد الإدارة العامة، بتاريخ 1358/5/8هـ-1939/6/25م).

(113) وثيقة رقم 76، *قرار مجلس الوكلاء بالموافقة على رأي وزارة المالية حول تسليف الزراع لإصلاح العيون والخيوف*، (معهد الإدارة العامة، بتاريخ 1358/8/4هـ-1939/9/18م.

(114) *تحد وإنجاز عبر مائة عام للزراعة في المملكة العربية السعودية*، ص91.

(115) محمد النيرب، *العلاقات الأمريكية السعودية*، ط1، (مكتبة مدبولي، القاهرة 1444هـ/1994م)، ص191-193.

(116) النمري، خلف بن سليمان، *اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز*، ص64.

(117) وثيقة رقم 320، *قرار مجلس الوكلاء بالموافقة على طلب وزارة المالية بتسجيل الأملاك الزراعية*، (معهد الإدارة العامة، بتاريخ 1358/8/11هـ-1939/9/25م.

(118) آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد، *تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان*، ط1، (الرياض، مطابع مؤسسة النور) ج4، ص135.

(119) ابن عبيد، إبراهيم، *تذكرة أولي النهى والعرفان*، ص135.

(120) نسبه لمدينة التويم التي تقع في وسط منطقة سدير في نجد، ويمر بها الطريق العام القديم الذي يربط بين الرياض-سدير-القصيم. على بعد 170كلم من الناحية الشمالية الغربية من الرياض، وهم جمع كبير يشمل على 50 فخذًا، كل فخذ يشتمل على جماعة. محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية، ص891؛ ar.wikipedia.org).

(121) رقم الوثيقة 1007، *مرسلة من الملك عبد العزيز إلى عبد المحسن بن سليمان بن عبيد وجماعته*، (دارة الملك عبد العزيز، مجموعة الوثائق المحلية، تاريخها 1363/12/12هـ-1944/11/27م.

(122) وثيقة رقم 141، *قرار مجلس الشورى بالتمسك بتعليمات المزارعين والخيوف والخاصة بانتخاب هيئة الزراعة من نخبة المزارعين*، (معهد الإدارة العامة، بتاريخ 1363/7/30هـ-1944/7/20م.

(123) السدحان، عبد الله صالح، وعبد العزيز سالم الغامدي، *تحدٍّ وإنجاز عبر مائة عام للزراعة والمياه في المملكة العربية السعودية*، (الرياض: وزارة الزراعة والمياه، 1319هـ/1419هـ-1903/1998م، ص98.

(124) خلف بن سليمان النمري: اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، ص64.

(125) محمد صالح عبد الرحمن قزاز، ولد بمكة سنة 1321/1409هـ-1903/ 1988م وكان أول من أدخل مضخات المياه على المزارعين في مناطق المملكة كوسيلة بديلة عن طريق السقاية التقليدية. أدار مشاريع التوسعة والترميم التي نفذتها الحكومة السعودية للحرم المكي الشريف والمسجد النبوي. انظر: مغربي، محمد علي، *أعلام الحجاز في القرنين: الرابع عشر والخامس عشر الهجريين*، ط1، (جدة، تهامة، 1414هـ/1994م)، ص243-244.

(126) الزركلي، *الوجيز* ص234-317-320.

(127) *الزراعة في عهد الملك عبد العزيز*، ص75.

(128) *المصدر نفسه*، ص90-101.

(129) الخريجي، عبد الله، *توطين البدو*، ص30.

(130) السلمان، محمد عبد الله، *قيام المملكة العربية السعودية وبدايات نهضتها الحضارية*، ط1، (النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية، الدمام، 1420هـ/1999م)، ص95.

(131) الشامخ، أحمد عبد الرحمن، وعبد الإله أبو عياش، *توطين البدو في المملكة العربية السعودية" الهجر"* ، (الكويت: الجمعية الجغرافية الكويتية، 1399هـ/1979م)، ص14.

(132) وزارة التخطيط، المملكة العربية السعودية، *خطة التنمية الثالثة، (1405-1400هـ/1980-1985م)*، ص135.

(133) الخريجي، عبد الله محمد، *السياسة الاجتماعية للملك عبد العزيز في توطين البدو* (الرياض: بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 19-23ربيع الأول 1405هـ/1-5 ديسمبر 1985م)، ص26.

(134) الخريجي، عبد الله، *بعض تجارب التنمية في الوطن العربي، دراسة لعمليات التهجير والتوطين*، (جدة، دار الشروق، 1400هـ-1980م)، ص102-103.

(135) المصدر نفسه والصفحة، ص10.

(136) ترقيم وهامش١٣١٩هـ-1403هـ/1901-1983م كاتب سياسي ولد وتوفي في باريس، مؤرخ وصحفي أصبح مختصًا في شؤون وتاريخ الوطن العربي عام1373هـ/1954م، من أهم مؤلفاته الملك سعود الشرق في زمن التحولات. (ar.m.wikipedia).

(137) بنوا ميشان، *عبد العزيز آل سعود*، ص216.

(138) بنوا ميشان، *عبد العزيز آل سعود*، ص216، ص120.

(139) أبو علية، *الإصلاح الاجتماعي*، ص145.

(140) البروة: أي تقديم إحدى الجهات المعروفة بنجد أو خارجها لطالبها من ثمار التمر والأرز والسكر والشاي والقهوة، وتصرف مرة واحدة فقط في السنة. انظر: *"نجد بمناسبة الحوادث الأخيرة التي كانت فيها"* ، (صحيفة أم القرى، ع291، س6، 1349هـ/1930م)، ص1.

(141) العمري، عمر بن صالح، *عناية الملك عبد العزيز بالزراعة والمزارعين، دراسة تاريخية*، (مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع27-1رجب 1420هـ/1 أكتوبر 1999م)، ص363-362.

(142) الشامخ، أحمد عبد الرحمن، وعبد الإله أبو عياش، *توطين البدو في المملكة العربية السعودية "الهجر"*، (مارس 1979م/ربيع الآخر1399هـ)، ص25.

(143) *نجد بمناسبة الحوادث الأخيرة التي كانت فيها*، (صحيفة أم القرى، ع291، س6، 1349هـ/1930م)، ص1.

(144) آل سعود، موضي، *الهجر*، ص54.

(145) الزامل، عبد الله العلي، *أصدق البنود في تاريخ آل* سعود، ط1، (المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، 1392هـ/1972م)، ص130.